السنة الثامنة عشرة   العدد ١   كانون الثاني   ١٩٢٠

المشرق

البركة الرسولية

كنّا التمسنا عند استئناف العدد المفقود من المشرق لسنته السابعة عشرة من انعطاف الكرسي الرسولي بركة خاصّة نفتتح بها السنة الجديدة بعد احتجاب المجلّة مدّة خمسة اعوام عن قرّائها، فلم يخب أملنا. ففي تاريخ ١١ ك ١ قد بشّرنا غبطة السيد الجليل عمانوئيل يوسف توما بطريرك الكلدان الكاثوليك ببلاغ برقيّ بان قداسة الحبر الاعظم يمنح بطيب القلب بركةً لرسالتنا في سوريّة ولمدرستنا الاكليريكيّة ولمجلة المشرق وجريدة البشير فنشكر الشكر العميم إمام الاحبار على هذه النعمة مستمدين [illegible] همّتنا لنقوم بأعبائه القيام الحسن لمجده تعالى وخدمة للدين والوطن

تحيّة المشرق لقرّائه

خمسة اعوام مضت والمشرق محجوب عن قرّائه خافت الصوت مغلّل الايدي لا يستطيع سبيلًا الى نشر افكاره وبث آرائه. فانها لعمري محنة شديدة ضاق بها ذرعنا فتحمّلنا المكروه مع من عجزوا مثلنا عود شدائد هذه الأيام التاعسة فصبروا عليها الصبر الجميل لعلمهم انّ الله مع الصابرين وانّ الصبر مفتاح الفرج فتحقّق املنا

واوّل ما يتبادر الى الخاطر عند استئناف العمل ان نوجّه الحاظنا الى السماء ساجدين لعزة ذاك الاله رب الكلّ وضابط العالمين الذي يميت ويحيي يضرب ويشفي

وهو في كلّ احكامهِ عادلٌ رحيم. قد اطلق قليلاً العنان لابي الظلمات وسمح لهُ بان يُطبّق الارض بتهاويلهِ فيعرف الانسان قساوة نير اركون الجحيم على من ينقادون الى نزغاته ويستسلمون الى غواياته لعلّ الخاطئ منهم يرعوي بذلك عن ضلالهِ منيباً الى خالقهِ مستعذباً نيرهُ اللين وحملهُ الخفيف متأكّداً ان لا سلام للاشرار

وان القينا البصر الى الارض بعد انقشاع تلك الظلمات وجدنا نفسنا بين عالمَين عتيقٍ مضى نحيّيه تحيّة الوداع وجديدٍ بدا نرحب بهِ ترحيب المستبشرين

نحيّي في العالم المنقضي اولئك الذين عرفناهم فألفناهم. فارقونا وكثيرٌ ما هم بعد ان ذاقوا مرارات هذه الدنيا الغرور. منهم ضحايا حرب طاحنة عركتهم عرك الرحى بثفالها • ومنهم شهداء ايمانهم او صرعى حبّ اوطانهم. ظنّ الطاغية انهُ يسرد بموتهم على الارواح وهيهات ان يغلب سيفُ الأجلاف شهامة النفوس. ومنهم من أودت بهم الاوبئة والمجاعات وضروب الهموم وكلّهم رحلوا الى حياة اخرى نؤمّلها لهم سعيدةً بعد الشقاء وخالدةً بعد الفناء. اذ لا يضيع عند الله اجر المحسنين. ونهدي ايضاً تحيّتنا الى بعض الافراد الكرام من الدور المنصرم وان كانوا لا يتجاوزون عدد الانامل ممّن نفروا عن فظاظة اخوتهم الاتراك بل تصدّوا لهم في ظلمهم وجفائهم فاعربوا عمّا تكنّهُ صدورهم من العواطف الشريفة حيث رفقوا بالمنكوبين ودافعوا عن المظلومين جازاهم الله كلّ خير

*

وان عطفنا بالنظر الى العالم الجديد الذي قام بعد الحرب فاستبشرنا بطلائعه وجدنا انقلاباً عظيماً نحيّيه بالرحب والسعة ونبني عليهِ اطيب الآمال

نحيّي تلك الدول المتحالفة التي نزلت في حومة القتال للذود عن حياض المدنيّة وحرمة الشعوب الضعيفة وكسر نير العبوديّة

وفي مقدّمتها تلك الدولة الشريفة التي طالما افاضت علينا سجال نعمها. نحيّي فرنسة ملجأ البائسين ومعتصم اللاجئين منذ مئين من السنين. هي التي جعلت تحت حماها بقايا النصرانية في الشرق فنالت لهم في عهد بني عثمان تلك الامتيازات التي خفّفت بلاياهم فحسدهم عليها الاتراك فهبّوا بالغائها قُبيل الحرب. وقد كان لالغائها انعكاس صدى اليم في قلوب رعايا الدولة

نهدي شكرنا الحميم لفرنسا التي في زمن الحرب لم تنسَ عن امرنا فامدّتنا سرًا بالمساعدات المتواترة والمبالغ الطائلة فنجّت من الموت الوفًا من المتضوّرين جوعًا ‐ نحيّيها تحية قلبية لحسن معروفها اذ همّت ثلاثًا وهي في معمعان الوغى ان تسيّر الى اقطارنا قسمًا من جيوشها لتسرع الى خلاصنا كما تأكدنا ذلك من اركان الحرب . وانما الظروف حالت دون رغائبها الصالحة

نهدي السلام لفرنسا مؤمِّل الطريد ومـلاذ اللهيف التي ما كادت اقدامها تستقرّ في ربوعنا حتى تسارعت الى ضمد جراحاتنا وتـلافي اكدارنا فبارت الريح كرمًا وجودًا ووزعت على المحتاجين من كلّ ملة ودين المساعدات المادّية الوافرة فكفكفت الدموع واعادت الرجاء الى الصدور

نحيّي فرنسا ام المعارف ومُعين العلوم التي اضافت الى الخير المادّي قوت الارواح وغذاء العقول فمدّت يد المساعدة الى المدارس فبـذلت في نهضة الآداب القناطير المقنطرة من مالها وقد صرفت عليها حتى الآن نحو المليونين من الفرنكات

نحيّي ونؤسنا امام علم فرنسا الظافر ذي الالوان المثلّثة المشيرة الى ثلاثة كمالاتها الدولية: الابيض الرامز الى طهارة نيّاتها وصفاء قلبها واستقامة خطتها ، والاحمر المصوّر لدمائها التي سفكتها بطيب الخاطر في سبيل كل دعوة شريفة ، والازرق المنبئ باستعدادها لحفظ الامان وصون حقوق المنكوبين وتنشيط كل عمل يؤول الى خير الانسانية

فليحيَ ذلك العلم المجيد وليخفق فوق معاهدنا ويظلل بطيّاته ربوعنا ريثما تبلغ به الى اوج الحضارة وذروة الكمال البشري فتخدم الوطن العزيز الذي حاولت اهانته من حضيض الرقّ الى مقام الامم الحرّة الراقية

وتحت هذه الراية المحبوبة نستأنف نحن ايضًا عملنا ونجدد عهدنا لمواصلة ما اخذنا على عاتقنا مدّة ١٧ سنة بنشر مجلة المشرق لمجده تعالى الاعظم وخدمةً للمواطنين الكرام مثابرين على تعزيز اصول الدين والعلم وعليها يقوم خير المجتمع الانساني وبهما تتمّ سعادة الدارين

ل . ش

بين عصرين

للشاب الاديب يوسف غصوب

عصورٌ تقضَّتْ وعصرٌ بدا   فتلك المَغيبُ وذا الشرقُ
وعادت الى النور سُبلُ الهُدى   وكان الظلامُ بها يحدقُ
حروبٌ تُشيبُ الفتى الامردا   وذو البطش من هولها يفرقُ
تُديرُ على الناس كأسَ الرَّدى   فيشربها البضُ والاحمقُ
تغلّى الحسامُ بها سيّدا   وغيرُ المَدافع لا ينطقُ
عويلُ اليتامى لهنَّ صدًى   وقلبُ النساء لها يخفقُ
وقد خددوا الحزنَ والفدْفدا   فيتلو بها الخندقَ الخندقُ
فكم من عروشٍ هوت واعتدى   عليها عدوٌ لها ازرقُ
وذو التاج اصبح لا يُقتدى   وقد ذُلِّلَ التاجُ والمفرقُ
وكم من (سَديرٍ) ومُنْهُ العدى   وكم خرَّ فوقَ الثرى (ابلقُ)
وكم من دموعٍ كقطرِ الندى   على وجنةٍ بالاسى تُحرقُ
ومرّتْ وفي الافق فجرٌ بدا   بهاءُ الرجاء به يدِقُ
فيا طيرُ قم في الضحى مُنشدا   فانت بحرّ الفضا مطلقُ
وبشّر بعصر جديدٍ غدا   رجاءُ البلاد به يعلقُ
فيا وطني كن منار الهدى   وكنْ مُشرقًا انتَ يا (مَشرقُ)

اعظم طامّة في الحرب العامة

نظر اجمالي في الحرب الاوربيّة الاخيرة للاب لويس شيخو اليسوعي

اعتادت مجلة المشرق في سني حياتها قبل الحرب ان تلخّص لقرّائها مجمل الحوادث التي تجري كلَّ عام. وكأني بهم يطالبونها بالعود الى خطّتها بعد الحرب العامّة التي ذاقوا مُحَنها ولمسوا آفاتها فرغبوا ان تُروى لهم احداث تلك الملاحم التي شابت لها رؤوس الصغار وناءت باهوالها عواتق الكبار

لعمري انّ دفنهم هذه في محلها وهي واجب لازب علينا لا سيّما بعد ان حجبت عنّا تركية والمانية الانباء الصادقة ومَوّهت علينا الاخبار بالزلل والدّلس وضروب التزوير حتى كنّا نيأس من النجاة

ولكن يا تُرى كيف تسطيع وقائع هذه الطامّة العظمى التي لا تحيط بوصفها المجلّدات الضخمة بل امكننا لو جُمع ما كُتب عن شؤونها الى اليوم تأليف مكتبة واسعة . هذا فضلاً عمّا تبرزهُ اقلام الادباء كلّ يوم من تفاصيلها المدهشة

ومن ثمّ ليس بوسعنا ان نجيب الى دعوة قرّائنا الّا بحصر الموضوع في حدود معلومة . ذلك بذكر اهمّ الامور التي وقعت في مدّة هذه الحرب فنجعلها كأنصاب يستدلّون بها على خطوات الدُول المتفقة المؤدّية بهم الى الانتصار النهائي . فجعلنا هذه المقالة كصورة جامعة يراها الطيّار من علٍ اذ يحوم على المنازل فيشمل بنظره ما تحت اقدامه . فكذلك يلمّ القرّاء بجريّات الحرب اجمالاً كما ستُفصّل وتودع في بطون التواريخ المدرسيّة

ولتقريب الموضوع الى ذهن القرّاء نقسمهُ الى قسمين نذكر في اوّلها خلاصة اعمال الدول المركزيّة نفرد له مقالة هذا العدد . ونؤجّل القسم الثاني بمقالة اخرى نورد فيها اخبار الاتفاقيين والتصادم النهائي

القسم الاوّل : الدُول المركزيّة

١ المانية

لا ريب انّ المانية كانت قطب هذه الحرب وركنها الاعظم فيجب تقديم الكلام عنها . واوّل ما يلزم قوله في ذلك انّ امبراطور المانية غليوم الثاني كان فاتح رتاج هذه الحرب وابنّ بجدتها مهما حاول بعد ذلك ليتنصّل من تبعتها والمسؤولية من سبقهِ اليها

عرف غليوم انّ الفرنسويين بعد الحرب السبعينيّة لم يكونوا ليرضوا بانسلاخ لايتي اللورين والالزاس عن وطنهم وانّهم عند سنوح الفرصة سيطالبون بحقوقهم حتّى في ميدان الوغى . لكنّ فرنسة في السنة ١٩١٤ كانت بعيدة عن تلك المطالبات

مشغولةً بسياستها الداخلية المضطربة . فظنَّ غليوم انهُ اذا ناجزها القتال قبل نهضتها سحق تلك الدولة سحقاً فتصبح المانية في مأمن من كلّ عدوّ وتصير اليهِ السيطرة في اوربَة والحكم الفاصل بين الامم

وكان غليوم يستعدُّ لهذه الحرب منذ السنين الطوال استعدادًا من شأنهِ ان يُظفرهُ بامنيّتهِ . فكان سعى طاقة جهدهِ مدةَ ملكهِ ان يرقّي بلادهُ الى اوج الحضارة في الصناعة والتجارة والفنون المختلفة والوسائط الاقتصاديَّة نافخاً في صدور رعاياهُ آمالًا ومطامع تبعث فيهم رغبة التفرُّد على العالم اجمع . فكان شعارهم الذي يردّدونهُ ليلًا مع نهار: المانية سيّدة الكل (Deutschland über alles)

ثم لم يدع القيصر غليوم وسيلةً للانتصار الّا تذرَّع بها من عَدَد وعُدَد كالاسلحة والذخائر الحربية المتوفرة وادوات التدمير في البرّ والبحر وفي اعماق الارض وفضاء الجوّ مع وفرة المراكز الحربية والخطوط العسكرية من سكك حديدية وطرق معبَّدة لتعبية الجيوش العرمرمية بوقت قليل فضلًا عن درس خوارط البلاد المنوي اقتحامها . وكان تدريب الجنود الالمانية منذ سنين عديدة جارياً على نظام واحد وفقاً لارقى الفنون الحربيّة بحيث تصبح كل الافراد طوع بنان قوّادهم الكبار يطيعونهم الطاعة العمياء لا يحيدون عنها ذرّةً فيطحنون كل ما يقوم في وجههم

ثمَّ اهتمَّ الامبراطور الالماني بان يبثَّ روّادًا من ثقات اصحابهِ وطلائع من اهل دولتهِ في بلاد العدوّ لا سيما فرنسة ليجسُّوها ويطلعوهُ على كلّ شؤونها . وقد بيَّن السيو لاون دوده (1 في كتابهِ المعنون « ما قبل الحرب » الذي طبعهُ سنة ١٩١٠ انَّ الالمان كانوا أنشأوا في فرنسة وبالخصوص في النقط العسكريَّة مشروعات لا تُحصى منها فنّيَّة ومنها صناعيَّة ومنها تجاريَّة مزجتهم بالفرنسويين مزج الماء بالراح فاحاطتهم علماً بكل المنشآت الفرنسويَّة بل زاحموهم فيها ايَّ مزاحمة . وكانوا يسرعون الى كشف اسرار الفرنسويين للعامل الالماني وقد امتصُّوا بمشروعاتهم ماليَّة فرنسة وعرَّضوها لاكبر الاخطار عند انتشاب الحرب وانسحابهم منها

وممَّا اتخذهُ القيصر غليوم من الذرائع لعقد النصر في اعلامهِ استنادهُ في معظم دول اوربَة الى ملوك وملكات وكبار امراء واميرات من قرابتهِ كانوا جالسين

1) هذا اسمهُ Mr Léon Daudet : L'Avent-Guerre, *Paris*, 1910.

على عروشها منهم ملك رومانية كارل وملك بلغارية فرديناند وملكة اليونان صوفيا وامبراطورة روسيّة الكسندرا وملكة سربيا دراغا وقرينة ولي عهد الجبل الاسود الدوقة جتّا. فكانت تلك الوشائج الاهلية وسيلة تسهّل لغليوم تنفيذ مآربه السياسية عند اصحاب تلك الدول فلم يدعها تفوتهُ ومن ثمَّ ارسل اليهم غير مرَّة سفراءهُ ومعتمديهِ منهم علانيةً ومنهم سرًّا ليستطلع طِلْعهم ويتشوَّف اخبارهم ويعرض عليهم المساعدة على نوال ما يتمنَّون من السلطة والاملاك على شرط ان يحالفوا المانية او يتعهَّدوا بالحياد في حربٍ لا محيد عنها اذا طرأت

وقد نشر في لندن مدَّة الحرب احد اعيان الالمان لم يصرّح باسمهِ كتاباً بالانكليزيَّة فصّل فيهِ مخابرات القيصر غليوم مع الدول ممَّا وقف عليهِ لتقرُّبهِ من الامبراطور ولاستخدامه كاحد المتوسطين في تلك المخابرات منذ عشرين سنة. وقد نقل الكتاب الى الفرنسويَّة المسيو هنري بونه فطبعهُ سنة ١٩١٦ واثبت صدق كاتبهِ (١ فتفاصيل هذا التأليف تدلُّ على طمع اشعبيّ وسياسيةٍ خرقاء ضحَّى غليوم في سبيلها كلَّ ضميرٍ ووجدان لم يكترث في جانب الحق لا لوعد ولا أيمان ولا معاهدة أية كانت لتوثيق سلطانه على اوربَّة وادراك غايتهِ عملًا بذلك المبدأ الفاسد «الغاية تقدّس الواسطة» الذي نُسب زورًا لليسوعيين فزيَّفناه (المشرق ١٧: ٤٢٣)

وقد ثبت مؤخرًا ان الامبراطور غليوم خدع القيصر نيقولا وجرَّهُ الى معاهدة سرِّية خفية عن حليفتهِ فرنسة وذلك في ٢٣ تموز ١٩٠٥. وكذلك حمل بتركية على معاداة فرنسة وانكلترة بمواعيد عرقوبية كردّ مصر اليها ووضع الجزائر ومراكش وطرابلس الغرب تحت حكمها. وربَّما حرَّك القيصرُ غضبَ الفرنسويين في عدَّة مواقع وخصوصًا في اغادير والجزيرة وكازابلنكا حيث تداخل في امور لا تعنيهِ تحيُّزًا وادَّعى بحقوق باطلة ورجاؤهُ ان تُعلن فرنسة اليه الحرب فيسحقها. لكنها صبرت على الاهانة واجتهد رؤساؤها في استرضاء القيصر وتحويلهِ انعامات خاصَّة واعطائهِ قسمًا كبيرًا من مستعمراتهم في كونغو

---

١) دونك اسم الكتاب Les dessous de la Politique en Orient par un Allemand, *traduit de l'anglais avec Préface par* Henry Bonnet, *Paris*, 1916

وكما سبق ملك المانية الى إعداد الحرب كان ايضاً السابق الى مباشرتها وذلك اذ ساق النمسة حليفتهُ الى إعلانها لسربية اخذاً بثأر وليّ العهد فرنسوا فرديننډ لمّا اطلق عليهِ وعلى قرينتهِ النار في سراجيفو غرافلّو برنزيب احد الطلبة السربيّين من الاشتراكيين في ٢٨ حزيران ١٩١٤ . وكانت النمسة اشترطت على سربية شروطاً قاسية رضيت بها الّا مطلبَين احالتهما الى مجلس التحكيم فحبّذت الدول عمل السرب واتّفقت على اقناع النمسة بالرضى منها . وكان الخلاف ينتهي سلماً لولا المانية التي كانت توعز الى حليفتها سرّاً باعلان الحرب كما ثبت من عدّة دلائل وهي تتظاهر بتفضيل السلام . فكان ما كان وتمّ الخطب

دخل فرنسوا جوزف ودولتهُ في حرب جرّت الى اقتحام حومتها تباعاً تسعة اعشار اوربة فانّ اعلان النمسة بالنفير العام لمحاربة سربية في ٢٨ تمّوز ١٩١٤ علّل استدعاء روسية الى مثله للدفاع عن نفسها وعن جارتها في ٣١ منهُ فكان فعلُ روسيّة داعياً الى اعلان المانية الحرب لروسيّة في غرّة آب ثمّ اعلنتهُ لفرنسة بناء على واقع لا صحة لهُ وهو ضربُ بعض الطيّارين الفرنسويين بالقنابل مدينة نورنبرغ المفتوحة في ٣ آب . وفي اليوم عينهِ تجاوزت الجيوش الالمانية حدود البلجيك لتُباغت فرنسة في شمالها وتفتح لها مُسرعةً طريق باريس . واذ تصدّى لها البلجكيّون وذكّروها بمعاهدة سابقة امضاها الامبراطور غليوم نفسهُ لم يكترث الالمان لتلك العهود بل لم يخجل كنشليار الالمان دي بتمان هولوغ ان ينعت تلك المعاهدة الموقعة رسمياً بامضاء القيصر « بقطعة ورق لا طائل تحتها » فقامت بلجكة لمناهضة الالمان وتبعتها بريطانية العظمى حامية عن الحقيقة . وهكذا في اقلّ من اسبوع باشرت الحرب ستُّ دول اوربيّة اربع بينها من الدول العظمى

ساقت المانية الى هذه الحرب عدّة ملايين من جنودها المدرَّبة على فنون الوغى فوجّهت قسماً منها الى بولونية الروسية وقسماً حفظتهُ لردّ غارات روسية على تخومها الشرقيّة . لكن القسم الاكبر البالغ ازيد من مليون ألف منهُ تسعة جيوش في ٤٤ فيلقاً دفعت بها لمحاربة فرنسة

وكان الفرنسويّون حصّنوا ثغورهم الشرقيّة دون الشمالية لظنّهم ان الالمان لا يتهكون حمى بلجكة ولكسمبورج المتحايدتين فساء ظنّهم فاندفعت اليها تلك

الجيوش كالسيل الجعاف لا تاوي عناناً ولا ترعى أيماناً فدخلوا البلادين رغماً عن احتجاجهم). وقد تشرَّف البلجيكيُّون بالدفاع عن وطنهم وكفاهم فخراً أنهم بتضحيتهم كلّ نفس ونفيس اوقفوا نحو اسبوعين كلّ قوّات الالمان فامكن الفرنسويين بذلك الوقت ان يحشدوا الى الشمال قسماً من جيوشهم مع ما انضمّ اليها من الجنود الانكليزيّة فزحفوا الى محاربة الالمان: الفرنسويُّون في شرلروا والانكليز في مونس عند طرفي بلجيكة الى حدود لوكسمبورج

اصطدم الفريقان في تلك الهيجاء يطلب كلاهما النصر او موتاً شريفاً وقد ظهر من نخوة الفرنسويين ما لم يكن في حساب اعدائهم مدّة ثلاثة ايام ليلاً مع نهار غير انّ قوّات الالمان كانت اوفر عدداً واقوى اسلحة واتمّ نظاماً فانتهت تلك الواقعة في ٢٣ آب بانتصار الالمان وتقهقر الفرنسويين والانكليز. لكن الجنرال جوفر كان عارفاً من اين تؤكل الكتف فامر الجنود المتكسرة في شرلروا بالرجوع الى خطّ دفاعي ثانٍ كان اعدّه عند نهر المارن فتمّت اوامره في اواخر آب واوائل ايلول فاصبحت هناك كالبناء المرصوص. ولمّا حضر الالمان بخيلهم ورَجلهم تحت قيادة الجنرالين فون كلوك وفون بولوف في ٣ ايلول مؤملين انتصاراً سهلاً وفتح طريق باريس الواقعة على مرحلة واحدة وجدوا من المقاومة ما ملأ قلوبهم دهشاً وحنقاً وتمكّن الفرنسويون بحسن نظرهم وتدبير الجنرال فوش وهمّة الجنرالية دوبايل وكستلنو ومونوري وفرنشي ليس فقط من كسر شوكة الالمان ولكن ايضاً بردّهم مقهورين مكسورين الى ما وراء نهر المارن. فكان هذا النصر الباهر فاتحة الانتصارات التالية للدول الاتفاقية وسهماً جارحاً في قلوب الالمان الذين كانوا سبقوا فبشروا بدخولهم الى باريس بعد مضيّ نصف الشهر واستعدّ القيصر لدخولها ظافراً برونق لا مثيل له فخاب امله وثبت عند الدول انّ المانية قابلة الفشل ليست كما زعم اصحابهم حليفة كلّ نصر ورقي كما ان جنودهم اضطرّوا الى الخروج من مدينتي رَمس واميان بعد ان خربوا قسماً من ابنيتهما واطلقوا مدافعهم على كنيسة رمس الكاتدرائية التي تُعدّ من أعظم واجلّ الآثار الهندسية القوطية الراقية الى القرون الوسطى المثبتة باصول الامّة الفرنسويّة فنفر العالم المتمدّن من هذا العالم الهمجي

ثمّ حاول الالمان تغيير خطّتهم فحملوا جيوشهم الى جهات البحر ليحتلّوا مدينة

كاله مفتاح البحر والمركز الحربي فاستولوا في طريقهم في ١٣ ت ١ على مدينة ليل ثم في ١١ على انفرس ثم بروج ثم اوستند واستعدّوا لفتح مدينة ايبر على نهر ايزر فلا يبقى في وجههم عائق للمسير الى كاله . وكان الامبراطور الالماني جمع هناك ١٥ ألاية من المشاة وأربعة من الخيالة وبشّر بدخوله القريب الى ايبر في غرة ت ٢ . فحدثت عند نهري اين وايزر قريباً من كسمود معارك مهولة تتابعت مدة شهر كامل اسفرت في ١٥ ت ٢ بفوز الاتفاقيين تماماً على الالمان الذين ارتدّوا خاسرين بعد ان فقدوا في مستنقعات نهر ايزر نيفاً ومئة الف من جنودهم . وفي تلك الاثناء فقد الالمان مستعمراتهم باستيلاء الانكليز والفرنسويين عليها واحدة بعد الاخرى

فتحقّق الالمان انّ ما حلموا به من سحق فرنسة كان من اضغاث الاحلام ومن ثمّ التجأوا الى الخنادق ليحفظوا ما احتلّوه من اراضي فرنسة وبلجكة وحشدوا معظم عساكرهم الى جهات الشرق لمحاربة الروس حتى اذا انتصروا عليهم يكرّون راجعين الى فرنسة . وهذا هو الطور الثاني من الحرب العامة فاضطرّ الفرنسويون ان يحتفروا كاعدائهم الخنادق ويتحصّنوا مثهم وانما حصلت من وقت الى آخر مناوشات متعددة لم تكن قاضية لكثرة التحصينات الواقعة في وجه الفريقين . وهناك استعان الالمان بالمدافع الضخمة وبالرمّانات ذات الموادّ المتفجرة او الغازات السامّة المنتنة فعاملهم الفرنسويون بالمثل وطالت هذه الحرب الخندقية ثلاثة اعوام كان امل الالمان ان يُعال صبر الفرنسويين فيهيجوا بثورة على وطنهم فما افلحوا

وأخصّ ما جرى للالمان في النصف الاوّل من سنة ١٩١٥ حملاتهم على ولايتي ارتوا وشمبانية زحفوا اليهما بفيالق متعددة وتقدّموا قليلاً في بعض الاماكن لكنّهم لم يستطيعوا فتح سواسون كما شاؤوا وفقدوا حصن بوسيجور بعد ان قُتل منهم عشرة آلاف جندي . وحصلت ايضاً في فصل الشتاء معارك محلّية في الارغون ولورين والزاس اظهر فيها الالمان والفرنسويون مع الانكليز كل ما تكنّه الصدور من البأس والشجاعة فكانت الحرب سجالاً الّا انّ الفرنسويين قهروا اخيراً اعداءهم بجيشهم وحبّهم لوطنهم اذ كانوا يمشون للقتال وهم يتغنّون فرحين كانهم يسيرون الى عرس او عيد ويحاربون كالاسود الواحد بازاء ثلثة او اكثر من العدوّ . ثم تكرّرت في الصيف محاربة الالمان لتلك الجهات ففشلوا فيها كما في الشتاء.

وممّا اضعف الالمان في فرنسة وبلجكة اضطرارهم الى مقاومة الجيوش المسكوبية في بروسية الشمالية ومساعدة حلفائهم النمسويين في غاليسية فارسلوا اليها جيوشاً عديدة ليوقفوا سير العدوّ

ثمّ دخلت السنة ١٩١٦ ومعظم القوّات الالمانيّة تحت قيادة هندنبورغ مشتبكة في محاربة الروس الذين تقدّموا ظافرين في جهات النمسة وبروسية الشمالية . فحاول وليّ عهد المانية وأحد قوّاد جيوشها الكبار ان يخلّد اسمهُ بفتح مدينة فردون فهجم عليها بكل بطاريّاته وقوّاته . وبعد ان تجاوز بحملة ظافرة التحصينات الاوّلية دخلت جنودهُ في حصن دُو أومُنت المعدود كحجر الزاوية لتلك المدينة التي هي كترس باريس ومجنّها

فتغنّت الالمان بغناء الظفر وكاد العالم ييأس من خلاص فردون لكنّ القائد الاعظم جوفر ارسل الجنرال كستلنو وخوّلهُ كلّ سلطان للدفاع عن المدينة . فدعا كستلنو الجنرال بيتين وسلّمهُ قيادة الجيش فسدّ هذا كل خلل واوقف الالمان فكرّروا حملاتهم دون جدوى حتى بلغت هذه الحملات في يوم واحد ١٧ عداً وبات العالم في دهش من سطوة الفرنسويين الذين كذّبوا ما حلم بهِ وليّ عهد المانية من الظفر فقاوموهُ طول سنة ١٩١٦ وفي النصف الاوّل من السنة ١٩١٧ فألجأوهُ الى مبارحتها في شهر تموز ليردّ غارات الفرنسويين والانكليز في مقاطعة سُوم حيث انكسر الالمان كسرةً عظيمة وأُسر منهم فوق المئة الف وقُتل ضِعفا ذلك .

وقد سطّرت وقائع فردون للفرنسويين في بطون التواريخ مجداً مخلّداً حتى انّ الاميركيين كتبوا وقتئذٍ : « أنّنا كنّا نحبّ الفرنسويين قبل مواقع فردون امّا بعدها فقد ملأُوا صدورنا عجباً من بسالتهم » وسار المثل بين الفرنسويين «ان من لم يشهد معارك فردون الجهنّمية لم يعاين شيئاً من الاهوال»

وقد تعزّى الالمانيّون نوعاً من فشلهم في الغرب بما نالوهُ من الظفر في جهة الشرق فانهم بعد الانتصارات الاولى التي افتخرت بها الجيوش الروسيّة في بروسية الشرقيّة وغاليسية في سنة ١٩١٤ ثم ١٩١٥ الى اواسط آب أسرعوا الى مناصرة حلفائهم النمسويّين فردّوا غارات الروس وكسروا او اسروا أربعة فيالق منهم في آخر آب واوائل ايلول لكنّ الجنرال ريتشكيف تمكن من تعزيز الجيوش الروسيّة فاخرج

الالمان من بولونية الروسيّة وبقيت غاليسية في حوزة الروس بل فتح الغراندوق نقولا مدينة لمبرغ في ١ ايلول وسار الى محاصرة بِرِزْمِسْل

لكنَّ الالمان بعد خمود غارات جيوشهم في الغرب وجهوا الى الشرق قسماً كبيراً منها ففتحوا مدينة ثك ثم مدينة بنسك ولم يكفُّوا حتى ضايقهم الفرنسويون في شبانية فجبوا ثانيةً جنودهم من الشرق الى الجهات الغربية فتقوَّى الروسيُّون بغيتهم على النمسويين بحسن تدبير الجنرال بروسيلوف وأسر منهم مئات الوف. لكنهُ احتاج بعد ذلك الى ذخائر حربيّة واخذت الثورة تتهدَّد البلاد وتفشَّت الكلمة بين القيصر وحاشيتِهِ وظهرت معاداة الاحرار الدولة. وصار قسمٌ كبير من الجنود الروسيّة باغراء الالمان يطلبون الصلح فقُضي على القيصر نيقولا بان يتنازل من عرشِهِ في ١٦ آذار ١٩١٧ . فانتهز الالمان فرصة الفوضى في روسيّة لفتح ريغا ثم لمحاربة كرنسكي ممثل السلطة المنظمة واستندوا الى البلشفيكي او المكسيماليت الذين خانوا وطنهم وقتلوا القيصر نيقولا واسرتهُ ورموا دولتهم العظيمة في هوَّة الشقاء ومعظم الآفات التي لم تنجُ منها حتى الآن

وفي السنة ١٩١٨ أعدَّ الالمانيون زحفات جديدة ظنّوها القاضية على فرنسة فوجّهوا اوّلًا اسطولًا من طياراتهم حلَّق فوق باريس فرموا عليها ١٦ طنًّا من الموادّ المتفجرة قتلت او جرحت ٢٥٥ شخصاً. ثم حشد الجنرالان لودندرف وهندنبورغ ١٨ فيلقاً من الجند فساروا بهم هاجمين على الفرنسويين والانكليز كصرح من حديد واضطرُّوهم الى القهقرى في نواحي بيكردية وفلندرة وفتحوا عدّة مدن وكادوا يخرقون صدور الجيوش المتآلفة لولا الجنرال فوش الذي خلَّص الانكليز ملبياً دعوة الجنرال دوغلاس هايغ وهو يصرخ الى ذويه: اثبتوا قليلًا فها قد اتاكم الفرنسويون. فكان وصولهم فوز الاتفاقيين في « مون كمّل » ثم عاد الالمانيون بقوّات جديدة وبغتوا الاتفاقيين على غير انتظار ففتحوا سواسون وشاتو تياري في اواخر أيار واوائل حزيران ١٩١٨ والحديد والنار في حوزتهم واضحت باريس معرَّضة لقنابل مدافعهم واستعدُّوا لقطع نهر المارن فكان هذا النهر عثرةً ثانيةً في طريقهم وفاتحة كسرتهم الاخيرة فهناك اشتهر فخامة الجنرال غورو الكوميسار الاعظم الذي رُحبنا بقدومه في ظهرانينا وسُررنا بمشاهدتهِ مكلَّلًا بتاج الظفر وهناك ايضاً حاز

الجنرال فوش بانتصار لا مثيل في صفحات التواريخ القديمة وذلك في ١٨ تموز ١٩١٨ واستحقّ ان يُنصب الى رتبة مارشال . وكان هذا الانتصار مدعاةً لانتصارات قانونية متتابعة الى اوائل تشرين الثاني . وفي التسمة منه خرج غليوم هارباً من بلاده الى هولندة وفي ١١ منه انتهت الحرب باعلان الالمانيين رسميًا لكسرتهم وسقوط المانية العظمى

ولم تتّبع هنا مشروعات المانية ومساعي جيوشها المرمرية لمساعدة بلغارية بعد ان اقحمتها في ميدان الوغى وكيف عضدت تركية في كلّ ساحاتها الحربيّة برًا وبحرًا في البحر الاسود اوّلًا بواسطة بارجتيها غيبن وبرسلو ثمّ في الدردنيل وفي ترعة سويس وفي جهات العراق لا سيا كوت العمارة واخيرًا في جهات الاردن وفلسطين . فانها كانت الآلة المحركة لكلّ هذه الوقائع ونفخت في الاتراك روحًا جديدة افازتهم ببعض الانتصارات على انها انتهت كلها بفوز الدول الاتفاقيّة ما عدا الدردنيل حيث ردّوا الاتفاقيين بالخيبة

وممّا تمنّته المانية محاربة الاساطيل البريطانيّة لتدمّرها فجرت معركة اولى بحريّة في جزائر فلندة في ٨ ك ١ ١٩١٤ بين الدولتين كانت انكلترة هي الفائزة فيها . ثمّ فازت في موقعة ثانية في جوتلند في ١ حزيران ١٩١٦ . وكانت الموقعة الثالثة في هليغولند اعظم شأنًا في ١٩ آب ١٩١٧ . أصيبت الدولتان بخسائر عظيمة ونسبت كلّ دولة الانتصار لذويها

وممّا جملت المانية عليه املها العظيم غوّاصاتها التي الحقت بسفن اعدائها خسائر عديدة لا سيا بتدمير السفن التجارية . وقد أصيبت انكلترة من هذا القبيل بضربات اشدّ واقسى من سواها فمن ذلك تدمير البارجة همبشير التي كان ركبها اللورد كتشنر فغرق معها . وكذلك السفينة الكبرى لوسيتانيا التي تلفت معها ارواح كثيرين من علية الاميركيين وكانت من اسباب دخول اميركا في الحرب في جانب الاتفاقيين

النمسا

كانت النمسة في الظاهر اوّل مُضرِمة للحرب الاوربيّة باعلانها الحرب لصربية كما سبق الّا انّ الامبراطور فرنسوا جوزف بقي مدّةً يتردّد في مباشرتها حتى

ساقتهُ اليها مطامع المانية. فدخلت الجيوش النمسويّة في سربيّة واستولت على بلغراد مرّة اولى وثانية وكان السربيّون يدافعون عن وطنهم دفاع الابطال ومع قلة عددهم انتصروا عليهم غير مرّة واستردّوا عاصمتهم الى ان ارسلت المانية مدداً لحليفتها فتغلّبوا عليها

وغاية ما يقال في النمسة مدّة هذه الحرب انها كانت كالسيّارة في فلك المانيـة تدور حولها وتجري بإشارتها. وقد نالها من الآفات والشدائد ما لم ينل المانية نفسها اذ دخلت الجيوش المسكوبيّة في تخومها في غاليسية والمجر وتمكّنت عـلى بعض حواضرها ومدنها المحصّنة كلمبرغ وستانسلاف وبرزمسل الى ان ارسلت المانية الى نجدتها قسماً من جنودها فكبحت سورة الروس

وكذلك حاربتها ايطالية سنة ١٩١٥ فاصابت بعض الفوز في مواقع ايزنسو ومقاطعة ترنت. وطالت هناك الحرب حتى امدّت المانية حليفتها بجنودها فاندفعت كلتاهما لمحاربة الايطاليين فتجاوز جيوشهما التخوم الايطاليـة واحتلّت قسماً من الاصقاع البندقيّة الى ان أُخرجت منها بمساعدة الاتفاقيين وفوزهم الاخير

وكان الذي ضرب الجيوش النمسويّة الضربة القاضية الجنرال الفرنسوي فرنشه دِسپيره فانهُ انقضّ في تشرين الأوّل سنة ١٩١٨ مع عسكرهِ وعسكر السرب على النمسويين انقضاض العُقاب على فريستهِ فمزّق جيوش الاعداء شذر مذر في وقائع متعددة لم يقم بعدها لهم قائم

ومن الحوادث الحريّة بالذكر وفاة الامبراطور فرنسوا جوزف بعد ٦٨ سنة من الملك على النمسة والمجر توفّي في اواسط تشرين الثاني ١٩١٦ فلم يكن لموتهِ تأثير كبير فغلبت جلبة الحروب وصدى المدافع على زفرات الباكين على ذلك الشيخ التاعس الجدّ المنكود الحظ. وكان هذا الامبراطور رجلاً تقياً محباً للخير ساعياً ما وراء مصالح بلادهِ الّا انهُ وُجد في ايام صعبة فقامت في وجههِ مشاكل لا تحصى مدّة ملكهِ الطويل فضاق بها ذرعاً فنالهُ منها ضربات أليمة هدّت قواه

وقد خلفهُ في ملكهِ نسيبهُ كرلوس الاوّل فلم يألُ جهداً في صون بلادهِ من شرّ هذه الحرب لكنّ عاتقهُ ناءَ تحت هذا العبء الثقيل فذهبت في تيّارها دولة الهبسبورغ بانتصار الاتفاقيين على الدول المركزيّة واضطرّ الامبراطور الجديد

الى تقدمة استعفائهِ فتقسّمت دولة النمسة اقساماً عادت الى عناصرها المتباينة كبولونية والمجر والصقالبة كما كان المنتظر منذ زمن طويل. وقد أعلن الباقي منها استقلالهُ وألّف جمهوريّة خاصة

٣ تركيه

من أطّلع مدة الحرب على الجرائد المحليّة المحرَّرة باقلام الاتراك واصحابهم او المرتشين بالهم ظنَّ انَّ الدولة العثمانية عادت الى عصرها الذهبيّ في أيام السلطان الغازي محمّد الثاني وسليمان القانونيّ ولم يعلم انَّ نهضتها الاخيرة انما كانت نهضة «الرجل المريض» وبمثة الشيخ المحتضر الذي ينتعش قليلاً قبل ان يجود بنفسهِ فيظنُّ من يراهُ انَّ الحياة عادت الى جسمهِ فينخدع بالظواهر

والحقّ يقال انَّ ما ظهر في تركيّة في زمن الحرب من الجأش انّما كان بقيّة حياة كامنة ابرزتها قبل وفاتها بل قلْ ان المانية بعثت في ذلك الجسم البالي نسمة من الحياة فكانت لا تزال تنفخهُ فيها باركان حربها وضبّاطها وذخائرها الحربيّة مع رجائها ان تبعث العالم الاسلامي الى الجهاد فأصمَّ الاسلام آذانهُ عنها

والى هذه المساعدة الالمانية تُنسب خصوصاً الآثار التي تفاخر بها الاتراك في الدردنيل والقفقاز وسويس والعراق وفلسطين فلمّا أُصيبت المانية بجرحها القاتل عند نهر المارن في تموز ١٩١٨ تزعزع صرح الدول المتحالفة فكان لهبوطها دويٌّ عظيم وسقطت تركيّة في وقت واحد في كلّ ساحات الحرب في اوربة وآسية. واسرع الى الفرار أولئك المجرمون الكبار انور وجمال وطلعت وعزمي وكان اكبرهم انما انور باشا محور السياسة التركية الخرقاء الذي قلب بدسائسهِ دولتهُ وكان مع جمعية الاتحاد والترقي ألعوبةً في ايدي الالمان وقد ذهبوا معهم ادراج الرياح. امّا دولة بني عثمان فانها بعد وفاة سلطانها محمّد الخامس رشاد العاجز في آب سنة ١٩١٨ صارت الى السلطان محمّد السادس الذي لم يبقَ لهُ من الملك الّا اسمهُ ومن السلطة الّا ظلّها

٤ بلغاريه

هي الدولة المركزيّة الرابعة التي دارت في فلك المانية كان دخولها في الحرب في ١٣ ت ١ سنة ١٩١٥ فكان الامر داعياً لمداهمة الفرنسويين والايطاليين عن

حلفائهم سربية ورومانية واليونان في جهات البلقان فحصلت هناك مواقع عديدة في سالونيك ومقدونية. وكان لفرنسة في كل هذه الوقائع البلاء الحسن فعززت بجيوشها سربية بعد كسرتها في سنة ١٩١٥ ثم انشغلت عنها في السنتين ١٩١٦ و١٩١٧ لما قام البلغار باعمال حربية مهمّة في البلقان. ثم تجاوزوا حدود اليونان ورومانية بمساعدة الالمان والنمساويين تحت قيادة رئيس أركان حربهم الجنرال سافوف مصحوباً بالجنرالين الالمانيّين فون ستوبن وفون شولتس

وقد طالت الحرب والبلغار يبلون فيها احسن بلاء. لكنّهم عرفوا في اثنائها مطامع الالمان ومواعيدهم السرّية تارةً لهم وتارةً عليهم فنفروا منهم. على انّ البلغار لم يزالوا ينظمون الفيالق ويحشدون المراكز الى اواسط السنة ١٩١٨ فعزم الجنرال الفرنسوي غيليوماثمّ فرنشه دِسبيره على قطع دابرهم معها تكلّف الفرنسويون من الضحايا فزحفوا اليهم زحفة الأُسد الرئبال مع قلّة عددهم بالنسبة الى الاعداء وبهجمات متوالية واصلوها مدّة ١١ يوما (١٥ ايلول الى ٢٦ منهُ) احلّوا بهم بأسهم وقطعوا نظامهم واضطرّوهم الى طلب الهدنة في ٢٦ ايلول فكانت كسرتهم فاتحة الغلبات التالية حتى طلبت تركية بعدها الهدنة في ٣١ ت ١ ثمّ النمسة في ٢ ت وآخرها المانية في ١١ منهُ وعاد العالم الى سلامهِ (لهُ بقيّة)

الوهم في الحيوانات والحشرات

وحبهما الغريزي لنسلهما

نظر للاب اسكندر طوران اليسوعي

قد اطنب الشعراء ومصنفو الروايات في ذكر ما تكنّهُ قلوب الأمّهات لاولادها بل الحيوانات لصغارها. فكم تصفّحنا من القصائد الشائقة والمقالات الرائقة في حنان الدجاجة على فراخها والطير على اولادها. تأمّل مثلاً زوجاً من الحسّون وراقب حرصهما على جمع ما يعثران عليه في الطرقات او بين الدغل والاشواك من نُسال الصوف ونُتاف الريش ونُثار القطن ليوثّراها مهداً لنسلهما عند مولدهِ بعد ان

قضيا أياماً يتناوبان ليلاً مع نهار في حضانة بيضهما. فاذا ترج الصغار الى النور تفانيا في تلقيمها الطعام مراراً كل يوم الى ان تقوى على الطيران محلقة في الهواء.

فهذا امري مما يؤثر في عواطف البشر ويخول للشعراء مادة واسعة لشحذ قريحتهم. ولكن شتان بين الشعر وحقيقة التاريخ وربما كانا على طرفي نقيض لأن التاريخ يسجل الوقائع اما الشعر فيزخرفها وكثيراً ما تخترعها مخيلة الشاعر وكما ينسب الشعر النطق الى الحيوان — وليست امة خالية من رواة الامثال — فكذلك يعزو اليها الاهواء البشرية من حب وبغض من فهم وتعقل من فطنة واحتراس الى غير ذلك من صفات اختص بها العاقل

وكثير بين الناس من يحذو حذو الشعراء فيؤولون اعمال الحيوان تأويلهم لاعمال البشر لا سيما في عصرنا هذا الذي فيه تفاقم شر الماديين فهضموا حقوق الانسان ورفعوا البهيمة العجماء الى درجته فقابلوا بينهما ونسبوا جهلاً او عمداً الى الحيوان خواص الانسان. ومن ذلك انهم نسبوا الى انثى الحيوان حب الام لبنيها وامل هذا في بعضهم نتيجة ما تعلموه في ايام الصبا من الامثال على السنة الحيوان

وكأني بالقارئ يقاطعني فيقول او تنكر على الحيوان الاعجم حبه لبنيه — أجيب على هذا السؤال بديهياً: ليس في الحيوان الخالي من النطق حب صحيح. اللهم ان ادركنا معنى الحب وكنهه. فان الحب ليس مجرد ميل غريزي في قلب المحب نحو المحبوب بل هو ميل الارادة نحوه لصلاحه. وفعل الارادة مبني على المعرفة وادراك ما يوجد من العلائق بين المحب والمحبوب. والحيوان خلو من هذه المعرفة لا يدرك مطلقاً معنى الابوة والامومة كما سبقنا فاوضحنا ذلك في مقالتنا السابقة (المشرق ١٧[١٩١٤]: ٧٤١—٧٥٠) من البيضة حيث بينا ان الطائر لا يعرف ما هي بيضته وما سيحصل منها. وهذا يعم كل حيوان على الاطلاق فان الحيوان لا يعرف صغيره معرفة جوهرية صحيحة ومن ثم ليس حبه اياها حباً صحيحاً

منحت العناية الربانية الحيوان ميلاً غريزياً هو الوهم فعلقت تلك الغريزة نحو غاية ارادها الخالق وهي حفظ الحيوان لجنسه. فكما الوهم كذلك الغاية كلاهما من الله الذي يدفع الحيوان الى ابراز اعمال مؤدية الى تلك الغاية. وهيهات ان ينتج

من هذه الاعمال انّ الحيوان ذو عقل وانهُ مزدان بحبٍّ صحيح كما يعلمهُ الناس. والخلط بين الامرين شطط فظيع

ودونك بعض الاحداث التي اختبر العلماء وقوعها من الحيوان فهي اصدق نبأً من تخيّلات الشعراء وارباب الروايات المختلقة ولنبدأ ببعض الحيوانات الكبيرة:

يعلم الفلّاحون في سوريةَ انّ البقرة التي مات عجلها لا تدرُّ بحليبها ما لم يخدعوها ببعض الظواهر (اذ يجهلون الطرائق الشائعة في اوربة لاستدرار حليب البقرة الشكلي) فهم يعمدون الى جلد العجل الميت فيحشونهُ تبناً واذا ارادوا ان يحلبوا البقرة قرّبوا ذلك الشبح الى البقرة لترأمهُ كما كانت تفعل بعجلها حياً فتدرّ بلبنها. وهكذا يعمل العرب بنوقهم يقدّمون اليها البوّ وهو جلدٌ حوارها المحشو تماماً فتعطف عليهِ وتدرُّ

وان قال قائل انّ البقرة تشمُّ رائحة عجلها فتعرفهُ. اجبنا انّ هذه ليست معرفة كما شرحنا ذلك في مقالتنا عن الوهم بل عمل وهميّ لا يتجاوز الحسّ فانّ البقرة كانت في حياة عجلها تلحسهُ بلسانها وهي الآن تكرّر ذلك الفعل بناء على ما طُبع في مخيّلتها سابقاً فتعود الى إدرارها. ويثبت قولنا انّ الفلاحين يتأنون لديهم من البقرة ولو قرّبوا اليها جلد عجل غريب وربّما اكتفوا ببوّ واحد لإدرار عدّة بقرات. وقد عرفنا راعياً لم يملك غير بوّ واحد كان يستدرُّ بهِ أيّ بقرةٍ كانت. ومن الرعاة من يستغني عن جلد العجل بان ينطح برأسهِ اخلاف البقرة او الناقة كما يفعل العجل أو الحوار عند امتصاصهما لبن الامّ. فكل هذا دليل واضح على أنّ المحبة المزعومة في البقرة او الناقة لا تخرج عن دائرة الحسّ والشعور وليست في شيء شبيهة بالحب البشري

كلّنا يعرف الارنب الداجن وصغاره ما ألطف الخرنق في اوّل نشأتهِ يشبهُ كتلةً حيّةً من الوبَر الناعم. ولكن أياك أن تمسّهُ بيدك فانّ الارنبة اذا لحظت ذلك هجرت كل صغارها مع ما أظهرتهُ من التعطف لنسلها قبل وضعها ثم اذ تنسل كل زغب بطنها لتعدّ فراشاً وثيراً لمواليدها. فكيف يا ترى تنسى تلك الامّ هذه العواطف الرقيقة لسبب طفيف كهذا انْ يمسّ غريب احداً من صغارها او يفقد شيئاً من مهد حرائقها فتدعهم وشأنهم. أهذا هو مبلغ حبها!

وممّا يرويه مربّو الارانب ان الذكر منها يقتل صغاره ان لم يُفرَز للانثى مكان منفرد وتُحصّن الحرائق من اذاه. فاين هذا من الحبّ الوالدي!

ولنا في السنّور شاهد آخر على جهل الحيوان لنسلهِ وعدم حبّهِ لهُ. خذ صغار سنانير مختلفة وضعها جميعاً امام احدى الأمّهات تجدها مرضعةً لها كلّها دون تميّز بين نسلها ونسل غيرها. فثبوت جهلها دليل على خلوّ قلبها من الحبّ الصحيح

ثمّ ما قولنا بالدجاجة وبديك الحبش وكلاهما يحضن بيضاً غريباً او يربّي صغاراً حضنها غيرهما. وبطير الكبجيل (fauvette) الذي يرخم على بيض الطاطوي ثم تُرضع اثناهُ اولئك الدجلاء غابيةً عن اولادها (المشرق ١٧: ٧٤٨ – ٧٤٩). فكل هذا يبيّن ان الحيوان جاهل بعيد عن الادراك

وقد علم الاولاد الباحثون عن اعشاش الطير انّ الابوين يهجران عشهما اذا مسّ احد بيضها ولا يكترثان لحفظ ذلك المأوى اللطيف الذي كلّفهما اتعاباً ومشاقّ عديدة ويغيبان عن ذلك البيض الذي فيهِ نسلهما وعليهِ معوّل سرورهما. أفيحسُن بعد هذا بالشعراء ان يتأسفوا على اوجاع ذاك الطائر لمسّ الاولاد عشها او بيضها. ان الشعر في ذلك مجرّد تصوّرات خيالية يدحضها الاختبار اليوميّ وينفيها الواقع الدالّ على غباوة الحيوان وخلوّهِ من الفهم والادراك

نعم انّ الحيوانات في كل ظواهرها التي نستنتج منها حبّها لصغارها لا تجري في ذلك سوى على غريزة جبلّها الخالق في كيانها وبموجبها يسير كل صنف منها دون ان يحيد عنها البتة لحفظ جنسهِ. وهذا هو الوهم العجيب الذي خوّلهُ الله الحيوان ليقوم بكل حاجات مواليدهِ مدفوعاً اليها جبراً دون ان يعقل منها شيئاً

انّ الحبّ الابويّ الصحيح لا يقوم دون ادراك العلاقات ثم الواجبات بين الوالدين والمواليد فانّ الابوين يعلمان بان الولد نتيجة حبّهما المتبادل وانهُ لحم من لحمهما. ولا ننكر انّ في الانسان ايضاً وهماً غريزياً يحدو بالوالدين الى اسعاف اولادهم في حاجاتهم الّا انّ هذا الوهم يصحبهُ مطلقاً العقل البشري الذي لا يخلو منهُ ادنى الناس فهماً حتى الهمج منهم. فيرشدهم فهمهم هذا الى حاجات وليدهم والى عجزه عن خدمة نفسهِ والى عوائد خدمتهم لهُ

يروي السيّاح انّ بعض الناس في الصين ومجاهل افريقية يهملون بعض بنيهم بل

تبلغ بهم فظاظة اخلاقهم الى قتلهم . لكنْ هنا ايضاً فرقاً عظيماً بين اولئك البرابرة والحيوان فان هؤلاء البشر العديمي الشفقة لا يقدمون على عملهم الّا بعد الفكرة اذ يحكمون بان هذا المولود سيّئ البنية موتهُ خير من حياتهِ او انهم قاصرون عن اعاشتهِ وغير ذلك من الاسباب الباطلة التي يبنون عليها فعلهم القبيح . فتراهم يفرقون بين الفتى والفتاة وبين صحيح الجسم والهزول . وهذا كلّهُ شاهد على عقلهم لا ترى منهُ شيئاً في الحيوان

وكما يحبُّ الوالدان اولادهم فكذلك يعرف البشر اخوتهم واخواتهم وانسباءهم وكلّ ذلك مؤسس على علاقات طبيعيّة لا تفوت ذوي العقل . فهل يا ترى يوجد منها بعض الآثار في الحيوان ؟

لا ننكر انَّ الحيوان يأنس بذوي جنسهِ والمثل يقول «انَّ كل طير يأوي الى شكلهِ» فالحيوان اذا جاور حيواناً آخر وتربّى معهُ وقع بينهما بعض الأُلفة والتقرُّب لا سيّما الداجن من الحيوان كما ترى الخيل والبغال والكلاب فانها تحفظ في مخيّلتها صورة ارفاقها في إصطبلها واكنانها وهي معرفة حسيّة فقط تشعر منها الحيوانات ببعض الالتذاذ . واين هذا من ألفة الاخوة ومودّة الاقرباء . فيبعدان بُعد الثريّا من الثرى

ليس بين الحيوان ألفة كألفة النحل في آكوارها . فيها يُضرب المثل في الاتفاق والتآلف ولا مراء في انَّ النحل تعرف رفقاءها في العمل ولا تدع غريباً يدخل كوارتها . لها ملكة (يدعوها العرب يعسوباً ويعدُّونها ذكراً) هي الواضعة لكل افراد النحل وهي لا تبالي بمصير مواليدها فان بين العاملات من يُعنى بامر الصغار فينبذن منها ما لا يرينهُ صالحاً للعمل بعد قتلها كما انهنَّ يطرحن ايضاً خارج الخليّة الذكور بعد تشوُّلها . أفهذه ألفة صحيحة ؟ فناشدتك الله دعنا من اطراء حبّ الحيوان لنسلهِ او لذوي جنسهِ فهذا قول بلا سند

وقد روى السيو فابر الذي دُعي في زمننا بهوميروس الحشرات لتدقيقهِ في درسها بعض الاختبارات التي تولّاها لمعرفة هذا الحبّ المزعوم في الهوامّ لصغارها فدونك شيئاً منها :

انَّ بين اجناس العنكبوت نوعاً شائعاً في كل البلاد يصطنع من مجاجهِ نسيجاً كالحرير على شبه الكيس يجعل فيهِ بيضهُ البالغ مئاتٍ عداً . وهذه الخريطة كرويّة

الشكل كحمصة صغيرة تعدّها انثى العنكبوت ككنزها فلا تفارقها البتة · وبعض هذه العناكب الساكنة في ثقب عموديّ من الارض تخرج كل يوم عند شروق الشمس الى باب مسكنها وتعرض لحرارة الشمس ذلك الكيس الصغير بين مخاليها وتتبع الشمس في حركاتها طول النهار لينضج البيض بحرارة اشعتها · ويوجد نوع من العناكب اللواتي يربطن تلك الخريطة في بطنهنّ بخيط من لحمتهنّ · ومنهنّ من يحملن الكيس على ظهرهنّ · فكل هذه عجائب من الحنان التي يتغنّى بها الشعراء

ولكن هات الآن كبّة صغيرة من القطن او من الفلين على شبه الكيس السابق وصفة ثم انزع عن العنكبوت بيضها الحيّ بتّة وضع كبّتك بدلًا منها ترَ العنكبوت قابضاً عليها وفارًّا بها الى غوره ثم يصعد بها كل يوم ليعرضها على الشمس كأنها بيضة · والانثى الحاملة لكيسها على ظهرها تحمل كبّتك كذلك · وان كان دأبها حملة على بطنها حملت ما قدّمتَ لها على الصورة عينها دون ان تميّز بين الخريطة الجامعة لنسلها وما زوّرتهُ على شكلها

ومثلها العقرب التي يدرجها ارباب علوم الحشرات في سلك العناكب فيجعلونها فصيلة منها لما تُختص به العقرب من اربعة ازواج القوائم ولأنّ مواليدها تركب على ظهرها مثل مواليد العنكبوت وتبقى عليها ممتطية مدّة اشهر دون ان تذوق قوتاً · وانما يختلفان بما سوى ذاك · فان نسل العنكبوت يبقى في كيسه على ظهر الامّ الى ان يخرج من حبسه بعد اشهر بقوّة حرارة الشمس · اما العقرب فانها تجد مولودها بعد ميلاده تمّ البنية في مشيمته فتعمد الانثى الى ذلك الغشاء وتفتحه بواسطة كلابتي مخاليها فيخرج صغارها ويصعدون على ظهر امهم واذا قويت قوائمهم ذهبوا في سبيلهم والويل لمن يتأخر منهم على صهوة امه فانها تطرحه على الارض وتبتلعهُ · فنزه من هذا الحب العجيب ان تأكل الام لصغارها

قد سبق لنا (المشرق ١٧ : ١٩٨) وصف حشرة تدعى بنبكس (Bembex) ذات اربعة اجنحة متناسقة فهذه الدويبة تحفر كغيرها من الحشرات سرباً في الارض ذا خلايا تودع في كل خلية احد صغارها فتسعى لإعاشتهم بصيد الذباب كما يطعم الطائر فراخهُ في عشه · بيد انّ لهذه الحشرة اعداء بين الهوام يتطفّلن على مائدة صغارها · فمن ذلك دويبة تدعى تكينار (Tachinaire) خبيثة النجار اعتادت ان تترصد حشرة

بمبكس حتى اذا رجعت من صيدها وحاولت الدخول الى سربها التت على ما تحملهُ من الطعام بعض بيضها على قدر ما تستطيع بيضتين او ثلاثاً او اكثر. فهذا البيض الغريب يلتصق بالطعام المعدّ لصغار البمبكس ولا يلبث ان يفقس ويلتهم حصّته من مأكول اصحاب البيت كما يفعل المتطفلون. والغريب في هذا انّ الانثى الصيّادة التي كان يمكنها بكل سهولة ان تطرد اولئك الدخلاء او تفنيهم تكلّف نفسها تعباً شاقاً مدّة اسبوعين لتغذي بنيها وغيرها الثقلاء العائشين على كيسها. فكيف يمكننا ان ننسب حباً صحيحاً لتلك الحشرة التي لا تعرف ان تحتاط لصغارها ولا تميّز الغريب من ابن البيت

قلنا في ما مرّ ان البمبكس ذاتها اذا خرجت من سربها لتصيد قوت بنيها تسدّ ذاك المنفذ بقليل من التراب لئلا يطّلع عدوّ على عشها حيث اودعت بيضها فيقتحم على صغارها عند غيابها للصيد. فهلمّ بنا نزيل ذاك التراب عن الباب ونفتح ذلك السرب حتى نبلغ الى دودة الحشرة بحيث لا يبقى شيء مستوراً فالباب مفتوح والسرب مكشوف والدودة ظاهرة للعيان. وها هي الامّ قد رجعت من صيدها فلعلك تظنّ أنها تسير للحال الى صغيرها لتلقمهُ طعامهُ. كلا ثمّ كلا بل تراها تبحث عن باب السرب وتنتقل يميناً وشمالاً الى الخلف والى الامام لتجد بابها الذي سدّتهُ هي بالتراب وتبقى ساعةً في الحيرة فلا تميّز لا باب العش ولا سربها ولا صغيرها وكل ذلك مكشوف امامها. ولعلّ صغيرها يتضوّر جوعاً وهي لا تعرفهُ ولا تحسّ احشاؤها الوالديّة بالخطر الذي يتهدّدهُ وانما كل همها ان تجد الباب الذي سدّتهُ لأنّ وجود الباب في مخيلتها كأول حلقة لسلسلة حاسيّات اخرى متواصلة بها وهي الباب ثمّ السرب ثمّ خليّة دودتها فاذا ذهبت الحلقة الاولى من تلك السلسلة انفرطت بقية الحلقات ايضاً. لم تجد الباب الذي سدّتهُ فلا تدخل في باب غيره ويذهب سدى كل ما جمعتهُ لصغيرها اذ تهجر العشّ والطعام والنسل ويموت ذاك النسل لانها لا تعرف الوصول اليه الّا من الباب المسدود منها. فمن يستطيع بعد هذا ان ينسب لانثى الحيوان ذرّة من الحبّ نحو صغارها

وليست حشرة البمبكس وحدها الجارية على هذا النمط وانما هذا كثير في الحيوان وقد اجرى المسيو فابر عدّة امتحانات كهذه في دويبات مختلفة الاجناس

فكانت نتيجة ابحاثه كلها مؤيدة لخلو الحيوان من شواعر الحبّ نحو نسله لا يجري الّا على مقتضى وهمهِ الذي لا يحيد عنهُ ذرّةً حتّى في ساعة الضرورة وحرج المقام وتفاقم الامور كهلاك الذراري وخراب العش وذلك رغماً عن قرب الوسائط وسهولتها . فلا شكَّ انّ المسيو فابر مصيب حيث استنتج بعد ذلك انّ بين الوهم في الحيوان والعقل في الانسان اقصى البون لانهُ لو كان في قلب الحشرة المذكورة اثر من الحبّ لطارت الى صغيرها لا تبالي بالباب والسرب كما تفعل ايّ ام كانت من البشر (١

هذا اذا اعتبرنا اناث الحيوان فما قولك الان بذكوره ؟ غنيٌّ عن البيان ان ذكور ذوي الاربع لا يعيرون بالًا مواليدهم فهي لهم غريبة وربّما اضحوا لها اعداء . ومثلها الطيور الاهليّة الداجنة التي لا يبالي ذكورها بافراخهم الّا الحمام الذي يسعى الذكر مع انثاهُ في اعداد العشّ لصغارهما ويهتمُّ كلاهما بطعامهم . وذكور الطيور البرّية تفضل بذلك كالحمام على الداجنة فهي ايضاً تمهد لنسلها مأواهم مع اناثها وتطلب لهم قوتهم لكنّها جميعاً الاناث والذكور على سواء اذا كبر صغارها لا تعود تخصّهم بعنايتها ولا بمعرفتها كأنهم اضحوا غرباء في عينها .

ان اعتبرنا الحشرات لا نجد الّا اجناساً قليلة منها يُعنى ذكورها بحاجات صغارها . وفي معظم صنوفها لا يهتمّ بالصغار غير الاناث . وربّما تسلّطت الاناث على ازواجها بعد السفاد فالحقت بها الاذى . مثال ذلك الصرصور الذي يتلهّى به الاولاد في الحقول . فمنهُ ضروب تأوي الى جدران بيوتنا ونسمع صريرها في السهرات فكلٌّ يظن انها دمثة الاخلاق لينة العريكة ولكن لا تنخدع بظواهرها فانّ اناثها فظّة الطباع متوحّشة تأكل ذكورها

ومثلها في القطاطة الفراشة المعروفة باسم منتيس (Mantis ou Prie- Dieu) فان ذكرها لا ينجو من مخاليب انثاهُ المسنّنة التي في طرف قوائمها وتكون خاتمة العرس مأدبة تأكل فيها الانثى لحم زوجها وكذلك انثى العقارب تأكل صغارها عند بلوغهم

وبين العناكب اجناس يناجز بعضها بعضاً القتال فالغالب يفترس المغلوب . واذا صادفت انثى العنكبوت انثى غيرها وكلتاهما تحمل صغارها فتجري للحال بينهما

١) اطلب كتاب المسيو فابر المعنون– Souvenirs entomologiques, 1re série, p. 272

حرب عوان ولا تقلْ انَّ هذه غيرة واقعة بين أمين كما يجري بين الناس كلّا فان العنكبوت التالية بعد قتلها لوصيفتها لا تلبث ان تحمل على ظهرها نسل تلك الوصيفة عاطفةً عليها . فليس اذن ثمَّت غيرةٌ بل نَهم وشره فظيع

والنتيجة انهُ لا يوجد مطلقاً في الحيوان الاعجم صغيراً كان او كبيراً اثر للحبّ سواء كان حبّ الوالدَين لاولادهما او حبُّ اخ لاخيه او زوج لزوجها . وغاية ما نرى وهمٌ محض يسوق الحيوان على حسب جنسه الى اتخاذ الوسائط الكافلة لحفظ نوعه ونسله ليس الّا . ولسنا ننكر انَّ في تلك الاعمال الغريزيَّة سلسلةً تؤدّي بها الى غاية مقرَّرة الّا انَّ الحيوان يجهل تلك الغاية كما يلوح لكلّ من يُعمل نظره في تلك الاعمال . امَّا واضع الغاية فهو ذلك العقل الاسمى الالهيّ الذي خصَّ الحيوان بتلك الاعمال وارشدهُ دون علمهِ الى غاية ثابتة . ومهما تشدَّق المادّيون والزنادقة واخترعوا من المذاهب ليبينوا سبب هذه الاعمال وغايتها يضيق ذرعهم عن تعليلها بعلّة مقبولة ما لم يقرّوا بوجود مسبّب كلّ الاسباب والمدبّر لكل الكائنات كلّا حسب طبقاتها في سلّم الكون ووفقاً لغايتها الاخيرة وهو الله سبحانهُ وتعالى

حول جزيرة العرب

نظر تاريخي اجتماعي للاب لويس شيخو اليسوعي

ظهرت هذه المقالة أوّلًا في جريدة البشير الغرّاء فأعدنا فيها النظر وزدنا عليها بعض الفوائد واختزنا ما بقي منها

لا تزال احوال بلاد العرب مضطربة تأتينا اخبارها ملتبسةً متناقضة فيحير العقل في ادراك شؤونها مع كثرة تقاسيم تلك الانحاء وتعدُّد امرائها الغالبين عليها او الطالبين فيها الحكم لنفوسهم استناداً الى حقوق راهنة او احتجاجاً بالاصلاح الديني . فرغب الينا بعض المستفيدين ان نكشف لهم القناع عن تلك الاحوال المبهمة فنروي لهم خلاصة اخبار هذه الاقطار ونعرّفهم بمراكزها السياسية واخصّ امرائها من سلاطين وسادة وشيوخ ممن تكرَّرت على صفحات الجرائد اسماؤهم واعمالهم في الزمن الحاضر كآل السعود والوهابيين وابن رشيد والامام يحيى

والادريسي والسلطان حسين . فلبينا دعوتهم بوضع هذه النبذة الاجمالية ليقف القراء على امور تلك الجهات القاصية إن جغرافياً وان تاريخياً

يطلق الاتراك واهل فارس على بلاد العرب اسم عَرَبستان ويدعوها اصحابها جزيرة العرب ويختصرون اسمها بالجزيرة . وليست هي بالواقع جزيرة بل شبه جزيرة تحيط بها البحار غرباً وشرقاً وجنوباً فيحدها غرباً بحر القُلزم او البحر الاحمر وهو الخليج العربي على طول ٢،٢٠٠ كيلومتر من سويس الى مضيق باب المندوب وشرقاً خليج العجم وبحر عمان وجنوباً محيط الهند . وهي متصلة شمالاً بالشام وما بين النهرين وغرباً بافريقية لا يفصلها عنها غير ترعة سويس . وصورة الجزيرة تكاد تكون مربعة تبلغ مساحتها ١،١٠٠،٠٠٠ ميل مربع اي ما ينيف على ربع مساحة اوربة . وذلك تقريباً لعدم اتفاق الكتبة على تحديد تخومها الغربية والغربية الشمالية

تعريف بلاد العرب واقسامها

تقسم الجزيرة اليوم الى ستة اقسام وهي الحجاز ثمَّ اليمن على سيف البحر الاحمر ثمَّ حَضرَموت عند خليج عدن ثمَّ عُمان بجوار خليج عمان ثمَّ الاحساء على شاطئ خليج فارس ثمَّ نجد في وسط الجزيرة . وقد زاد بعض الكتبة على هذه الاقسام بلاداً اخرى كالبحرين وكُوَيت على خليج العجم وكالشِحر ومَهرة بين حضرموت وعمان وكاليامة بين الحجاز ونجد وكشَمَّر والنُفود او الدَهْناء شمالي نجد . واننا الحقنا ذِيهم بالاقسام الستة السابقة . ولم يكن من هذه الاقسام قبل الحرب للدولة العثمانية سوى الحجاز واليمن اما بقية الاقسام فكانت سيادتُها عليها اسميَّةً فقط بل لم يصفُ لها الحكم حتى على اليمن والحجاز وطالما نازعتها السيادة فيهما قبائلُ العرب فصرفت في كبح جماحها الاموال الطائلة وضحَّت الوفاً مؤلَّفة من جنودها في بلاد كانوا يدعونها مقابر الاتراك

وصف اجمالي لاقسام الجزيرة الستة

١ ﴿ الحجاز ﴾ هو سلسلة جبلية قائمة بين السواحل البلاد المتاخمة للخليج العربي المعروفة بتهامة الحجاز وبين الجهات العليا المدعوة بنجد . تمتدّ من أيلة على خليج العقبة الى تخوم اليمن . اخصُّ مدنها الحاضرتان المدعوتان بالحرمين

الشريفين اعني مكة والمدينة . فمكة موقعها في بطحاء او وادٍ بين جبال وهي قبلة الاسلام يحجّون في كل عام الى كعبتها . وعدد سكانها من ٢٥ الى ٣٠ الفاً . اما المدينة فهي يثرب القديمة هاجر اليها نبيّ المسلمين وفيها كانت وفاته وهناك قبره وقبر خلفائه الاولين وهم ابو بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان . عدد نفوسها ٢٠،٠٠٠ . ومن مدن الحجاز الطائف على مسافة يوم من مكة جنوبها في جبال غَزْوان يقصدها اهل مكة الاصطياف لطيب هوائها وكثرة اشجارها وثمارها ووفرة مياهها وليس بعيداً عنه «قرن المنازل» حيث يتجرَّد الحجّاج عن ثيابهم فيكتسون بالإحرام . وبقرب قرن المنازل سوق عُكاظ الشهير . ثم جُدّة (ويُقال جِدّة) وهي ثغر الحجاز وفُرضة مكة على ساحل البحر الاحمر . فيها من النفوس نحو ٣٠،٠٠٠ . وعلى ذلك الساحل بلدتان يَنْبُع ولَيْث توسو عندهما السفن وهما كفرضتي المدينة

٢ ﴿ اليمن ﴾ موقع هذه الولاية جنوبي غربي جزيرة العرب . وهي قسمان قسم ساحلي على سيف الخليج العربي يُدعى بتهامة اليمن يتركب من أحقاف وكُثبان رمليَّة قاحلة . وقسم جبلي ذو تقاطيع وانجاد مختلفة يدعى نجد اليمن فيه مشارف نجران شمالاً ومشارف مأرب شرقاً ومشارف صنعاء في وسط اليمن ومشارف تَعِزّ جنوباً ويبلغ بعض هذه الجبال علوّاً نحو ثلاثة آلاف . تتخللها الاودية العميقة الجيدة التربة الجارية فيها المياه . ويلحق باليمن شمالاً عَسير التي فصلها الاتراك عن اليمن وجعلوها سنة ١٨٧١ سَنجقاً منفرداً . وهي جنوبي نجد فيها قبائل كثيرة . ولا ذكر لعسير في كتب العرب والاسم حديث

واليمن في جهاته العليا بلاد مخصبة كثيرة الخير وافرة الاشجار طيبة الثمار مركزها صنعاء من اقدم مدن جزيرة العرب وهي طيبة الهواء كثيرة المزارع والمياه يَنيف عدد سكانها على ٤٠،٠٠٠ نسمة

وفي جنوبها مدينة مأرب البائدة التي اشتهرت بسدّها الخازن لمياه جبالها التي افاض العرب في ذكر انفجارها وتدميرها عدة بلاد وهي الواقعة المعروفة بسيل العرم . وعن جنوبها مدينة ظَفار البائدة التي كانت عاصمة اليمن في القرون الغابرة على عهد بني حِمْيَر . وغربيّ صنعاء مدينة زبيد وهي مدينة عامرة رائجة الاسواق اشتهرت

بولاتها ومدرستها الفقهية لها فرضة على ساحل البحر تدعى بعَلاقِقة . وعلى ذلك الساحل مُخا الشهيرة ببنّها الذي يطلبهُ التجار من كل الاقطار . ومن مدن اليمن الشهيرة تعِزّ التي اتخذتها الدولة المعروفة بالرَّسولية كحاضرتها وفيها كان قديماً مقام ملوك اليمن . ثم نَجران من اشهر مدن اليمن ذكر القرآن شهداءها النصارى . ومن الفُرَض اليمنيَّة على ساحل البحر الاحمر مدينة الحُدَيْدة الواسعة التجارة . ومنها مدينة عدَن على ساحل بحر الهند وهي معقل الانكليز وحصنهم الحصين القائم في وجه كل عدوّ يناوئ املاكهم في الهند ومنها يراقبون الخليج العربي وترعة سويس . ولعدن مرسى واسع امين للسفن التي تربط فيه ذهاباً واياباً من بلاد الغرب الى الشرق الاقصى

٣ حضرَموت وهي البلاد الواقعة بين اليمن وعُمان وبين الدَّهناء والبحر على طول يتراوح بين ١٣٠٠ الى ١٤٠٠ كيلو متر وفي جهتها الغربية جبال عالية كاليمن . وفي وسط حضرموت وادٍ رحب بعيد الغور كثير التشعُّبات يمتدّ من الغرب الى الشرق يدعونهُ وادي القصر فيه يسكن اهل تلك البلاد المعروفون بفظاظة الطباع وشراسة الاخلاق . وفي هذا الوادي نهر زاخر المياه يسيل الى البحر يدعى نهر سيحوت على ضفافهِ مدينتا حضرموت الكبيرتان شِبام وتَريم . وفرضة حضرموت المكلا على محيط الهند ولها ايضاً على خليج عُمان مرفأ قَصير وبُروم . وشمال حضرَموت الرمال الشهيرة بصحراء الأَحقاف . ومن حسن صفات اهلها نشاطهم وحرصهم على الشغل وكثيراً ما يهاجرون الى مصر وانحاء الهند فيزاولون الصنائع ويتعاطون الاعمال المختلفة

وفي شمالي شرقي حضرَموت على مقربة من بحر عمان بلاد مَهرة والشِّحر وفيها شجر اللُّبان . واهلها يشبهون اهل حضرموت في هيئتهم وطباعهم ولغتهم المعروفة بالحكيلي واكثر طعامهم من صيد السمك والرُّطب والالبان . وفرضتهم مَرْبَط فيها مرفأ حسن للسفن كانت سابقاً فرضة ظَفَار قاعدة اليمن القديمة

٤ عُمان هي اقصى بلاد العرب شرقاً . تمتدّ من فرضة مَربط الى بلاد البحرين موقعها على خليج يُنسب اليها . وهذا الخليج يصلح لرسوّ السفن وهو كثير السمك وقد اشتهر اهلها بالملاحة وخوض البحار . وبلاد عمان جبليّة ذات

حجارة بركانيّة . وكانت قاعدة ذاك القطر سابقاً مدينــة قَلْهات ومركزها اليوم مَسْقَط التي فيها يقيم سلطان البلاد وهي مدينة واسعة التجارة في وسط صخور عَمُودية سوداء بركنية . ويشتد فيها الحرّ في فصل القيظ حتى لا يكاد يُحتمل فيلتجئ اهلها الى الجبل المجاور المعروف بالجبل الاخضر البالغ ارتفاعهُ ٣٠٠٠ متر فيروّحون النفس هناك وخصوصاً في بلدتين تدعوان بالرُّسْتاق و نَزْوَة . ومن هذا الجبل تسيل مياه غزيرة تسقي بقاعاً هناك تخصبها خصباً عجيباً . وفي عمان واحات عديدة تُزرع فيها البذور والبقول والاشجار الثمرة ولا سيا النخل وينمو فيها قصب السكر . وفي شمالي مَسْقَط مدينة صُحار احدى حواضر عمان على سيف البحر ثمّ مدينة دَبا عنــد رأس مُسَنْدم . والصنائع رائجة في صُحار وشَرْجة فيها مناسج للصوف والقطن ومعامل للحرير والطنافس ويحسنون شغل الاسلحة . واهل عمان حسان الوجوه ذوو ذكاء وإقدام يزاولون الفلاحة والتجارة ويرتزقون بالصيد

٥ الأَحساء موقعها ما بين عمان والعراق على شواطئ خليج العجم تبلغ مساحتها ٥٠،٠٠٠ كيلومتر مربع . اشتهرت سابقاً عاصمتهــا هَجَر . وقد قسمها الاتراك الى ثلاثة أقضية وهي الحساء او الهفوف ثمّ قطر ثمّ القطيف . والأَحساء غنية بالنخيل وعلى سواحلها عند قطَر والقطيف وفي جزائر البحرين التي بازائها مغاوصُ اللؤلؤ الشهيرة . وفرضة الاحساء العُقَيْر . واهلها مدنيّون على الملاحة وربما دُعيت سواحل الاحساء بالخطّ واليها تُنسب الرماح الخَطّيَّة . ويلحق بالأَحساء بلد الكُوَيت او القُرَيْن موقعهُ جنوباً من مدخل جُون هناك . وهو بلد عامر واسع المتجر تربط عنده السفن وتقصده قبائل شمَّر . ويحكم في الكويت شيخ مستقلّ في تدبيره . والى جنوب الاحساء وجنوبها الغربي بلاد اليمامة تدعى باسم قاعدتها وهي مدينة حسنة ذات مياه ونخيل وبقربها وادٍ يُقال له الخُرْج فيه عدّة قرى كثيرة الغلات . وفي غربي الكويت مدينة قاطمة على طريق الراحلين من البصرة الى اليمامة

٦ نَجد هو القسم الداخلي من جزيرة العرب يتوسَّط بين الاقسام الخمسة الموصوفة آنفاً . والنجد في اللغة ما ارتفع من الارض دُعي بذلك لارتفاعهِ فوق بلاد العرب وهو يتركّب من سهول عاليــة تحدّها صحاري رمليَّة متسعة كصحراء الدَّهناء أو النفود من اطراف الحجــاز الى اطراف خليج فارس .

وفي تلك السهول العليا رُبى وآكام وقُلَل يبلغ علوّ بعضها نحو ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر

وارضُ نجد تُعَدُّ من اطيب بلاد العرب لصفاء جوّها وجودة هوائها · على ان قسماً كبيراً منها صحارى قاحلة وسباسب جرداء لقلّة ما تُجاد به من الامطار

وتُقسم نجد الى ثلاثة اقسام وهي الجبل او جبل شمَّر والقصيم والعارض. فبلاد الجبل قصبتها حائل مدينة ابن رشيد يكتنفها شرقاً وغرباً جبلا طيء الشهيران أَجا وسَلْمَى حيث يُرى قبر حاتم الطائي الذي يضرب العرب بكرمه المثل · وبين الجبلين طريق الحاج الذاهب من الكوفة الى مكة · وحائل تشتمل على نحو ثلاثة آلاف بيت ودورها مبنية بالطين الممزوج بالرمل والكلس وهي وثيقة البنيان مُحصَّنة بسور عالٍ · وبلاد الجبل كثيرة البساتين يسقونها من آبار يحفرونها وهي تُثمر انواع الفواكه الطيبة · ويزرعون من الحبوب الحنطة والشعير والذُّرة والدُّخن · ومن قرى بلاد الجبل العامرة سُبعان وفَيْد والكهْفة

وموقع بلاد القصيم شرقيّ بلاد الجبل تتصل بها قصبتها مدينة بُرَيدة تشتمل على زهاء ١٥٠٠ دار مبنية كحائل بالطين · ويكتنفها سُور علوّه ثلاثة امتار يحميه عدَّة بروج للدفاع عن المدينة · وحول المدينة رمال يسمّونها النُّفود متسعة النطاق يتخللها وديان ذات مزارع حسنة · وجنوبي بُرَيدَة بميلة منها الى الشرق مدينة عُنَيْزة تبعد عنها مسافة سبع ساعات يفصل بينهما وادٍ يدعى بوادي حَنيفة · ودور عُنَيْزة ينيف عددها على الفي دار وهي مبنية كدور حائل وبُرَيدة لكنها ذات طبقات عديدة فمنها ما يبلغ اربع او خمس طبقات ولها كبُرَيدة سُور علوّه اربعة امتار · ويُلحقون بالقصيم ثلاثة بلدان موقعها عن جنوبها الشرقي وهي بلاد الوَشْم قصبتها شقراء وبلاد السُّدير قصبتها المجمعة وبلاد المَحْمَل قصبتها ثادق · ولكل من هذه البلاد عدة قرى تابعة لها

اما بلاد العارض فموقعها جنوبي شرقي بلاد القصيم وراء بلاد الوشم وكانت قصبتها سابقاً الدَّرْعيَّة · فلما خربها ابرهيم باشا عندما حارب الوهابيين صارت مدينة رياض مركز امارة الوهابيين ينشرون منها لواء حكمهم على كافة نواحي نجد حاضرتها وباديتها · وبين الوشم والعارض غربي رياض جبل يُدعى طُوَيق يمتد من

الشمال الى الجنوب ومن بلاد العارض في جنوبه بلدة الخَرْج القديمة فيها عيون جارية اشتهرت فيها عشيرة بني عائذ وقد كادت اليوم تفنى. ومن بلاد العارض وادي الفرع وهو عامر بكثير فيه النخل ومعظم اهله من بني تميم. ومنها ايضاً وادي الدواسر بعض اهله بادية وبعضهم حاضرة

وفي نجد اودية اخرى واسعة الفنا. كوادي حنيفة ووادي القصيم المدعو وادي الرُّمة. وفيه عقبات صعبة المسالك. والدهنا. هي الصحارى الرملية الحاجزة دونه

وفي نجد عشائر من العرب كثيرة العدد عظيمة الشأن اخصُّها عشيرة مطير وعشيرة العجمان وآل مُرَّة وعتيبة بفرقتَيْها دومة وبرقا. ثم عشائر قحطان وسبيع والسهول وكلها تنتمي الى قبائل متعددة يعدُّ اهلها من اصحاب الشجاعة والقوة والاقدام والحنكة في فنون القتال والغزوات

٧ ﴿ طورسينا ﴾ ومن بلاد العرب جبل طورسينا الشهير في الاسفار المقدسة في تاريخ بني اسرائيل وهو مثلث عظيم واقع بين خليجين خليج سويس وخليج عقبة الداخل في باطن جزيرة العرب. وهو شبه جزيرة يسكنهُ نحو عشرة الاف نفس. ويدعى رأس المثلث الداخل هناك في البحر الاحمر رأس محمَّد. وكثيرًا ما يقصد الزوَّار ولاسيا السيَّاح الاوربيون طورسينا رغبةً في مشاهد آثاره التاريخية حيث تجلّى الله لموسى واديرته القديمة

الدين في جزيرة العرب

هو الاسلام كما لا يخفى لكن اذا استثنيتَ بعض بلاد الحضر وجدتهُ سطحيًّا لا يعرف منهُ العرب وخصوصاً اهل الوبر الّا النزر القليل وليس عندهم مدارس يتلقن فيها صغارهم اصول الدين وقلَّما يذهب اليهم فقهاء. ومعلمون يرشدونهم الى ممارسة فرائضه. والعارفون بالدين يتسمون غالباً الى اهل السنة وقسم منهم متشيعون. ولعلَّة معرفة اهل جزيرة العرب ببادئ الدين قد كثرت بينهم البدع وتعدَّد الخوارج وذلك منذ ظهور الاسلام كما هو معلوم من امر مُسَيْلمة الكذَّاب والاسود العَنْسي وسَجاح التبية. وربما قام الدُّعاة فدعوا الناس الى نفوسهم واثاروا الفتن بحجَّة الدين وتاريخ

المهديين شاهد على قولنا لا تزال تتنهم منذ نحو قرن ونصف تغلق الجزيرة حتى ايامنا كما سترى

وقد قرأنا آخراً في عدد وردنا من مجلة المنار الاسلامية نبذة تؤيد قولنا في دين الاعراب قال (ص ٢٢٧):

«يعلم الملايين من البشر بعضهم بالمشاهدة والاختبار وبعضهم بالآيات الثابتة بالتواتر أن الاعراب (البدو) في الحجاز وغير الحجاز قد عادوا الى شرّ مما كانوا عليه في الجاهلية من الغزو والسلب والنهب والقتل حتى للحجاج المُحرمين في أرض الحرم والاشهر الحرم وانهم يستحلّون ذلك ويسمونه كسباً، وان لهم شرائع واحكاماً عرفية مخالفة الشرع لا يرضون الحكم بدونها. وان اكثرهم لا يصلّون ولا يصومون ومن يحجّ منهم لا يلتزم أحكام الشرع في الحجّ ولا يعرفها ولا يمنعهُ الاحرام بالحج عن القتل والسلب والنهب ان قدر عليه . ولا شك في أن من كان كذلك فهو ليس بمسلم ولا ذي دين. هذا ما هو مشهور عنهم»

الدول الاجنبية والوطنية في جزيرة العرب

ان موقع جزيرة العرب في منطقة بعيدة عن مسالك الامم الفاتحة جعلها في مأمن من نتك الفاتحين وظلمهم . وقد حصّنتها الطبيعة بالبحار الكبيرة ثم طوّقتها بالجبال الشاهقة والرمال القاحلة التي من شأنها ان تكبح مطامع ذوي الجشع المفرط الذين يطمحون اليها بالنظر ليستعبدوها. ولذا ساعدتهم الاقدار على قهرها لم تلبث مساعيهم ان تذهب ادراج الرياح

ولا حاجة ان نذكر هنا الدول القديمة من بابليين ومصريين ويونان وروماني الذين أيسوا بعد الامتحان من مدّ سيطرتهم على تلك الانحاء فانّ لنا عبرة في من كانوا اقرب الى العرب وكادت تجمع بينهم وشيجةُ رحم. كبني امية وبني عبّاس ودول الايوبيين والفاطميين . فانهم لم ينالوا من اهل الجزيرة غير النزر القليل الذي لا يُعبأ به وكان جلّ مبتغاهم ان تكون الحجاز في حوزتهم لوقوع الحرمين فيها اي مكة والمدينة رجاء ان تثبت لهم بتملكها حقوق الخلافة دون سواهم فيخطب باسمهم شريف مكة في الصلاة الجامعة . اما بقية بلاد العرب فلم تزل محافظة على

استقلالاً يحكم فيها امراؤها وملوكها كما يشاؤون ونعلم من اخبارهم النزر القليل

وقد جرى لبني عثمان ما جرى للدول السابقة يوم مدّوا الاعناق الى جزيرة العرب لإدخالها في حيز ممالكهم . وكان اول من فكر منهم في ذلك السلطان الغازي سليم خان الاول فانه بعد فتحه لبلاد الشام ومصر وقتله لآخر الملوك الجراكسة طومان باي أسر في القاهرة الخليفة المتوكل على الله من ذرّية خلفاء بني العباس اذ كان اجداده بعد فتح المغول لبغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) قدموا هاربين الى مصر وتناسلوا فيها وكان آخرهم المتوكل هذا . فاستلم منه السلطان سليم علائم الخلافة المعروفة بالآثار النبوية وهي اللواء والسيف والبُردة مع مفاتيح الحرمين ثم اخذه معه الى القسطنطينية

وفي اثناء ذلك قدم عليه شريف مكة وواليها المدعو بركات الحسني ومعه ولده الشريف ابو نمي محمد فدخلا على السلطان واخبراه انه خُطب له بالحرمين فشكرهما وامر بان يُعطى لمكة والمدينة في كل سنة قسم من خراج مصر وبذلك امكن الدولة العثمانية ان تضم الحجاز تحت حوزتها وان كانت سلطتها اسميةً فيها اكثر منها فعليةً

وحاول سلاطين بني عثمان التملك على اليمن ايضاً فنالوا منهُ سواحلهُ دون جهاته الداخلية وذلك في ايام السلطان سليمان خان الاول المعروف بالقانوني فانه امر والية على مصر الخصيّ سليمان باشا بتجهيز اسطول يرسله الى الهند لمحاربة الدولة البرتغالية . فقام سليمان باوامر سيّده وسار الاسطول الى عدن ففتحها عنوة ثم امخر الى الهند واذ لم يقوَ على دحض البرتغاليين قفل راجعاً الى اليمن باستولى على سواحلها سنة ١٥٣٨ . لكن البرتغاليين احتلّوا عدن بعد سنتين فبقيت تحت حكمهم الى ان انتزعها من يدهم بيري باشا ثم عيّنت الدولة حسن باشا كوالٍ على اليمن فجعل بلادها ضمن الممالك العثمانية سنة ١٥٦٩ وبقيت في حوزة الاتراك الى السنة ١٦٣٠ وانما كان حكمهم عليها في الغالب صورة لا حقيقة وحيث اختبروا ما يقتضيه حفظها في ملكهم من العناء والتكاليف الباهظة آثروا تخليتها وسحبوا منها جيوشهم فصار فيها الحكم الى أسرة احد شرفاء مكة تُعرف بأسرة ابي بركات فأطلق عليهم اسم ائمة اليمن وملكوها الى ايام الوهابيين في اوائل القرن التاسع عشر كما سترى

ولم تلك الدولة العثمانية في جزيرة العرب غير ما ذكرنا مع كون السلاطين ينعتون نفوسهم في مناشيرهم بسلطان «مكة والمدينة واليمن وجميع ديار العرب» وهو مُدَّعى باطل لا سند له

وكانت بقية بلاد العرب في تلك الغضون تحت إمرة عدَّة سلاطين وامراء وشيوخ يحكم كل منهم على قسم من الجزيرة وربما وقعت بينهم ضغائن ومشاجرات وحروب لا تنتهي الّا بعد سفك الدماء وتضحية الارواح والاموال دون جدوى

المركز الوهابي

اصل الوهابيين بين البلاد العربية التي كان طبَّق عليها الجهل واصبح اهلها في حالة اشبه بحالة الهمج اواسطُ الجزيرة المدعوَّة بنجد وذلك لانقطاع قبائلها عن سائر الامصار المتحضّرة والاقطار المتمدنة . وكان الدين بينهم في انحطاط حتى اضحى اسماً فارغاً لا يعرفون منهُ جلًّا ولا قـلاًّ . وبقوا على ذلك زَدْحاً من الزمان حتى قام بينهم رجل ذو شكيمة ومراس حاول ان ينفخ في مواطنيه روحاً جديدة اقتبسها من اصول الدين الاسلامي مجرَّداً كما زعم عمَّا نسبوهُ اليهِ من النوافل والبدع

واسم المذكور محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان من اعيان قبيلة بني تميم . ولد في نجد في قرية العُيَيْنة سنة ١١١٦ هـ (١٧٠٤م) . واليهِ تعزى الشيعة الوهابية نسبةً الى والده عبد الوهَّاب . ولمَّا نشأ محمد ولم يجد في وطنهِ مدارس يتفقه فيها ويروي غليلهُ عند علمائها رحل الى العجم والعراق ودرس على علماء اصفهان والبصرة وبغداد ثم جاء الى مكة فاخذ عن علمائها اولاً مذهب ابي حنيفة ثم جنح الى المذهب الحنبلي فأدى به الى ان يبتدع مذهباً خصوصياً اراد ان ينشره في وطنهِ فعاد الى نجد السنة ١٧٥٦ واخذ يدعو قومهُ الى آرائهِ الدينيَّة

خلاصة مذهبهم ينحصر مذهب الوهابيين في الاقرار بوحدانية الله واتباع سنتهِ من طهارة وصلاة وزكاة وصوم كبقيَّة المسلمين . وهو يختلف عنهم في ما سوى ذلك فينفي كل دعاء الى غيره تعالى ويضرب الصفح عن ذكر نبي الاسلام في الشهادتين ويحظر على الناس اكرام وإكرام الاولياء فيعدُّ الاستشفاعَ بهم شركاً وينهي عن زيارة قبورهم وعن تشييد القبب والمشاهد فوقها ومن تزيين الجوامع والمساجد .

وكان يصدّ تبعتهُ عن لبس الثياب الحريرية والتحلّي بالجواهر والحلى الثمينة ويمنع من شرب القهوة والتبغ فضلاً عن المسكرات . وكان يتشدّد على كل من يتسامح بشيء منها فيعدّهم من المبتدعين لاسيما الاتراك فكان الوهابيون يعتبرونهم كالخوارج في الدين

محمد بن عبد الوهاب وبنو السعود

لمّا باشر محمد بن عبد الوهاب بنشر دعوته في العُيَيْنة وجوارها لم يجد ما أمّله لمذهبه من الرواج الأتمّ الّا افراداً من ذويه وما كان اهل البادية عموماً ليصغوا الى تعاليمه المنافية لحريّتهم ويمارسوا سنناً لم يألفوها كاقامة الصلوات الخمس والصوم والزكاة فلم يُعيروه اذناً صاغية . وقد زادهم استنكافاً من الداعي اليها منعهُ اياهم من شرب التبغ والقهوة . امّا اعداؤه شريف مكة وشيوخ الحجاز وعمّال الدولة التركية فانهم نسبوه الى الكفر لنبذهِ كثيراً من العادات الجارية في الاسلام التي أجمع على استحسانها ائمّة اهل السنّة لاسيما اكرام الانبياء والاستغاثة بالاولياء وفي مقدّمتهم نبي المسلمين فتصدّوا له وعارضوه ما امكنهم

فلما رأى ابن عبد الوهّاب ما قام في وجههِ من العوائق لبلوغ غايتهِ في ما نواه من اصلاح الاسلام عرف انهُ لن يفوز بالمرام الّا بامتشاق الحسام ومراعاة اخلاق العربان القريبة من الحالة الهمجيّة بالحضّ على شنّ الغارات وتهييج المطامع في اقتسام الغنائم واستلاب الاموال. فبحث عن عصبة قويّة قادرة على استعمال السيف في مقابلة الاضداد يحكم عليها رجل ذو بأس يستند اليه في نشر معتقده ويمهّد له السبيل في نوال مرغوبهِ

كانت بلاد نجد في اواسط القرن الثامن عشر في حالة قريبة من الفوضى اذ كان يحكم على اعمالها عدّة شيوخ وامراء يقضون زمانهم في عراك وقتال طمعاً في السيادة وتدبير الامور في القبائل . فاجتمع اولًا محمّد بن عبد الوهاب بصاحب وطنهِ العُيَيْنة عثمان بن مَعْمَر فدعاه الى معتقدهِ فلم يُصغِ الى قولهِ . فارتاد له اذ ذاك سيداً غيره يعضده في مشروعه فوجد ضالّتهُ في امير الدرعيّة محمد بن سعود

بنو السعود أُسرة قديمة كريمة المحتد شريفة النسب يزعم اصحابها ان اصلهم يرتقي

الى عدنان ابي العرب · ومن المشهر من اجدادهم الشيخ مانع الذي وضع اساس الدرعية عاصمة نجد في اواسط القرن الخامس عشر · ومن ذريته الشيخ سعود بن محمد بن مقرن الذي اليه ينتسب آل سعود· توفي سنة ١٧٢٦ بعد ان رفع مقام امارة الدرعيّة واعلى منارها (له بقيّة)

كتاب الكُتّاب لابن درستويه

عُني بنشره الاب لويس شيخو اليسوعي

المقدمة

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة الثمينة كتاب نفيس متقن التجليد مكتوب بخطّ بديع على ورق صقيل ضارب الى الصفرة محلًّى على هوامشه بنقوش ملوّنة وأُطر ذهبيّة مصنوعة· وليس المخطوط قديم العهد قد نسخهُ بيده احد ادباء الشهباء المرحوم رزق الله حسّون سنة ١٨٧٥ اذ كان في لندن في قرية وِندزُر (Windsor)

امّا الكتاب فأثر خطير لاحد مشاهير اللغويين وهو ابن دُرُسْتُويه الذي ازهر في اواخر القرن الثالث واوائل الرابع بعد الهجرة اي التاسع والعاشر للمسيح · وهو كتاب فريد في جنسه لم يصرّح الناسخ عن النسخة الاصليّة التي نقلها عنها وقد عنونهُ في نسختنا «بكتاب الكُتّاب التمّ تصنيف الشيخ الامام ابي محمّد عبدالله ابن جعفر بن درستويه النحوي رحمهُ الله»

وقد تحقّقنا ان هذا الكتاب منسوخ عن النسخة الوحيدة المعروفة الى يومنا في خزانة الكتب الشرقيّة المصونة في اكسفرد وقد وصفها وصفاً واسعاً المستشرق اسكندر نيكول (Alex. Nicoll) في القسم الثاني من مخطوطات اوكسفرد العربيّة · تحت العدد ٣٥٩ – (Catalogi Codicum Manuscriptorum Bibliothecæ Bodleianæ, II, n°, CCCLIV p. 347-349) وعنوانهُ هناك في صدره «كتاب الكُتّاب» وفي آخره دعاهُ بكتاب الالفاظ الكُتّاب (١ وقد اضاف رزق الله

١) قال الحاج خليفة في كشف الظنون: «وقيل في اسم كتاب الكُتّاب ان الثاني مخفّف (اي كتابُ الكِتاب) يعني كتاب الكتابة وفي رواية مشدَّدٌ يعني كتاب المكتب وهو الانسب بحسب المعنى · كذا في ترجمة الموضوعات» . هذا ما قالهُ الحاج خليفة ولعلّ الكُتّاب هنا جمع كاتب كاتب الكَتَبة ودليلهم

حسّون الى هذا العنوان لفظة «المتمّ» ولعلّه اشتقّها من مقدمة المؤلف حيث يقول انّه كان صنّف سابقاً هـذا الكتاب موجزاً ثمّ عاد فكمّله في هذه النسخة الجديدة . ولعلّه ايضاً وجد في كتاب الفهرست لابن النديم كتاباً له يُدعى بالمتمّم (ص ٦٣) فارتأى وليس رأيه بعيداً انّه هو كتاب الكتّاب وقد ورد الاسم في كشف الظنون (٥ : ١٣٦) كما رواه رزق الله «كتاب الكتّاب المتمّ»

ونسخة اوكسفر التي فقدناها سنة ١٨٩١ قديمة تاريخها شهر شوّال من سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٦ م) وهي غاية في الاتقان مضبوط اكثرها بالشكل وهي في اثني عشر باباً ومئة وثلاثة عشر فصلاً اثبتها المؤلف في اوّل كتابه بعد المقدّمة

مؤلف الكتاب

امّا مؤلف هذا الكتاب البديع فقد ورد ذكره في عدّة تآليف اخصّها كتاب الفهرست لابن النديم (ص ٦٣) وكتاب نزهة الالبّاء في طبقات الادباء لابي البركات عبد الرحمان الانباري (ص ٣٥٦–٣٥٨) وكتاب وفيات الاعيان لابن خلكان (ص ٣٥٣) وبغية الوعاة في طبقـات اللغويين والنحاة للسيوطي (ص ٢٧٩ — ٢٨٠)

هو ابو محمّد عبد الله بن جعفر بن محمّد درستويه بن المرزبان الفارسي الفَسَوي النحوي . ودرستويه اسم فارسي معناه الكامل ضبطوه بضمّ الأوّلين والتاء وسكون السين والواو والهاء وفتح الياء (دُرُسْتُوَيْه) وضبطه البعض بفتح الاوّلين والتاء (دَرَسْتَوَيْه) . والفَسَوي منسوب الى مدينة فَسا بفارس على اربع مراحل من شيراز . كان مولده على ما هو أخبر سنة ٢٥٨ (٨٧١ م) وتوفي ببغداد في تسع بقين من صفر وقيـل لستّ بقين منه سنة ٣٤٦ (٩٥٧ م) وقالوا في وصفه انّه كان عالماً فاضلاً واحد النحاة المشهورين والأدباء المذكورين اخذ فنّ الادب عن ابن قتيبة وعن ابي العبّاس المبرّد وعن ثعلب واخذ عنه عُبيد الله المرزباني والدار قطني وكان ابوه جعفر من كبار المحدّثين وأقام ابن دُرُسْتُويه في بغداد الى حين وفاته . قـال ابن النديم : «وكان متفنّناً في علوم كثيرة من علوم البصريين ويتعصّب لهم عصبيّة شديدة وله ردّ على المفضّل بن سلمة ونقض كتاب العين . ثمّ ذكر له عدّة تآليف اوّلها كتاب المتمّم (ولعلّه هو كتابنا كما سبق) ثمّ كتاب الارشاد في

النحو وكتاب شرح الفصيح وكتاب ادب الكاتب وكتاب المذكر والمؤنث والمقصور والممدود وكتاب الهجاء وهو من احسنها وكتاب غريب الحديث ومعاني الشعر والحيّ والميّت وكتاب شعر قسّ بن ساعدة وكتاب اخبار النحويين وكتاب الردّ على من نقل كتاب العين عن الخليل وغيرها ايضاً . وكفى باسمائها دلالةً على سعة علمه ولم يبق من هذه المصنفات كلها سوى الكتاب الذي قصدنا نشره . وهو في الاصل ٨٧ صحيفة وفي نسختنا ١١٣ نشير اليها بالعدد الفرنجي

كتاب الكُتّاب

تصنيف ابي محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتَوَيه ابن المرزبان الفارسي

بسم الله الرحمان الرحيم

(٢ب) هذا كتاب كنّا ألّفناه في خلافة امير المؤمنين المعتصم بالله(١ تأليفاً مختصراً تنقص ابوابهُ وتقصر فصولهُ عما أحدثهُ لنا الرأي من ايضاح خفيّهِ وإيعاض جليّهِ ، والانتقال من واهي قول الى قويّهِ ، وبثثناه بالعراق وغيره ثم تعقّبناه بما وصفنا ، وغيّرنا منهُ بعض ما ألّفناه ، فمن جمعهما وتأمّل الاختلاف منهما فليعلم سبب تصنيفهما والغرض في تأليفهما ليعذر على الخلاف فيهما ويأمن انتحال مدّعيهما . وهو كتاب الكتاب الجاري بين الخاصّة والعامّة في كتب علومهم وآدابهم ومراسلاتهم الذي لا يستغني متأدّب عن معرفته (٣آ) ولا يليق بذي مروءة جهلهُ وفيه اختلاف بين العلماء فمنهم المقتفي خطّ المصحف والمكتفي بما نشأ عليه إن مصيباً وان مخطئاً وقد ألّف كلُّ امرئٍ منهم في ذلك كتاباً على رأيه فاخترنا من مذاهبهم جيّدَ ما وافق النظر واوجبهُ قياس النحو وبيّنّا فيهِ مواقع الزلل من غير ان ننصّ الى عالمٍ زلّتهُ او ننعي عليه عثرتهُ . وسمّيناهُ «كتاب الكُتّاب» اذ كان قصدنا فيه لما يُكتب من تهجٍّ وقراءة دون غيره ولأنّ الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب ايضاً وانّ الخطّ يكون تصويراً ونقشاً ولم ننسبهُ الى الكتابة لانها صناعة الكاتب وهي تجمع

١) تقلّد المعتصم الخلافة من سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) الى ٢٢٧هـ (٨٤٢م)

اسباباً غير الكتابة. ووجدنا كتاب الله جلّ ذكرهُ لا يقاس هجاؤهُ ولا يخالَف خطّهُ ولكنّهُ يُتلقّى بالقبول على ما أُودع المصحف. ورأينا العَروض انّما هو احصاء ما لُفظ به من ساكن ومتحرّك ليس يلحقهُ غلط ولا فيه اختلاف بيّن فلم نعرّض لذكرهما في كتابنا هذا

اعلم ان الكُتّاب ربّما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها ويحذفون منها ما هو فيها ويثبتون فيهـا ما ليس منها ويُبدلون الحرف ويَصِلون الكلمة بأُخرى لا تتّصل بها ويفصلون بين امثالها ويختزلون عامّة صور الحروف اكتفاء بالطائفة منها ولا يَنقُطون ولا يشكُلون الّا ما التبس (٢) ويحاولون بكلّ ذلك ضرباً من القياس يُذكر في موضعه ان شاء الله

ويشتمل على جميع وجوه ذلك سليمه وسقيمه اثنا عشر باباً ينقسم كلّ باب منها فصولاً بيّنةً فضلاً عن ما أُلحق بها وليس منها

وقد شرحنا كلّ بابٍ منهُ على انفراده وشرحنا كل فصل على حياله واصحبنا ذلك من البيان ما تيسّر ومن الايجاز ما امكن وبدأنا بذكر ترجمة كلّ باب وفصل منهُ ليقف مَن نظر في اوّله على الغرض من آخره ويعلم من اراد فيه شيئاً اين يجدهُ وفي ايّه يلتمسهُ فيقرب عليه المأخذ ويتسهّل لهُ المطلب والله الموفّق الصواب

وهذه ترجمة الابواب على مراتبها وذكر فصولها في منازلها

الباب الاول وهو باب الهمز: خمسة عشر فصلاً

منها: ١ شروط الهمزة ومعرفة لفظها وكتابها. ٢ الهمزة المبتدأة الواقعة اوّلاً. ٣ المبتدأة بعد همزة من كلمة اخرى. ٤ المبتدأة المقطوعة الواقعة بعد (٣) همزة الاستفهام. ٥ المبتدأة الموصولة الواقعة بعد همزة الاستفهام. ٦ وقوع الهمزة وسطاً. ٧ المتوسّطة المفتوحة بعد متحرّك. ٨ المتحرّكة بغير الفتحة بعد حرف متحرّك. ٩ المتوسّطة المتحرّكة بايّ حركة كانت بعد حرف ساكن. ١٠ المتوسّطة الساكنة بعد حرف متحرّك. ١١ وقوع الهمزة طرفاً. ١٢ المتطرّفة المتحرّك ما قبلها غير المتّصلة بما بعدها. ١٣ المتطرّفة المتحرّك ما قبلها المتّصلة بما بعدها من علامة ضمير او تثنية او جمع او تأنيث. ١٤ المتطرّفة الساكن ما قبلها غير المتّصلة بما بعدها. ١٥ المتطرّفة الساكن ما قبلها المتّصلة بما بعدها من علامة ضمير او تثنية او جمع او تأنيث

الباب الثاني وهو باب المدّ: ستة فصول

منها: ١ شروط الممدود وتمييزه من المقصور . ٢ المتطرّفة مدّتهُ غير المتّصلة بما بعدها. ٣ المتّصلة مدّتهُ بعلامات الضمير . ٤ المتّصلة مدّتهُ بعلامة التثنية . ٥ المتّصلة مدّتهُ بعلامة الجمع. ٦ المتّصلة مدّتهُ بعلامة التأنيث

الباب الثالث وهو باب القَصْر (٢ ل): سبعة فصول

منها: ١ شروط المقصور واصنافهُ وتمييز ذلك . ٢ ذوات الالف المنقلبة من الواو ذوات الالف الجارية مجرى المنقلبة من الواو وليست منها. ٤ ذوات الالف المنقلبة من الياء. ٥ ذوات الالف الجارية مجرى المنقلبة من الياء وليست منها . ٦ المشتركة من ذوات الواو والياء وما ليس منهما . ٧ المخالف اخواته في الياء من ذلك قياساً او شذوذًا

الباب الرابع وهو باب الفَصْل والوَصْل: احد عشر فصلاً

منها: ١ شروط الوصل والفصل والأصل الذي يبتنيان عليه . ٢ ما يوصل من الكلم الذي على حرف واحد بما بعده لانهُ لا ينفرد . ٣ ما يوصل منها بما خاصّةً وما يفصل منها . ٤ ما يوصل من الحروف بما وما يُفصل منها. ٥ ما يُوصل من المبهمة بما وما يُفصَل منها. ٦ ما يوصل من المتمكّن بما وما يُفصل منها. ٧ ما يوصل من الافعال بما وما يُفصل منها . ٨ ما يوصل بمن خاصّةً وما يفصل منها. ٩ ما يوصل بلا خاصّةً وما يُفصَل منها. ١٠ ما يوصل بحرف التنبيه وهو ها وما يُفصَل منهُ . ١١ ما شذَّ من الموصول عن نظائره

(٢ ﻫ) الباب الخامس وهو باب الحَذْف: عشرة فصول

منها: ١ شروط الحذف واصولهُ وعِلَلهُ . ٢ حذف المدغم من الخطّ اتّباعاً للفظ . ٣ حذف غير المدغم لاجتماع الاشباه او الشبيهين في كلمة . ٤ حذف غير المدغم لاجتماع الشبيهين خاصّةً في كلمة . ٥ حذف غير المدغم لاجتماع ثلثة اشباه في كلمة. ٦ حذف ما شبه باجتماع الاشباه وبحروف اللين في كلمة. ٧ حذف ما شبه بالاشباه من كلمتين. ٨ الحذف على الشذوذ تشبيهاً باجتماع الاشباه في كلمة. ٩ الحذف للتخفيف قياساً لاجتماع المثلين في كلمة. ١٠ الحذف للتخفيف على الشذوذ لغير اجتماع الاشباه ولا التشبيه باجتماع الأشباه

الباب السادس وهو باب الزِّيادة: اربعة فصول

منها: ١ شروط الزيادة وعللها. ٢ زيادة الالف . ٣ زيادة الهاء . ٤ زيادة الواو

الباب السابع وهو باب البَدَل: خمسة فصول

منها: ١ شروط البَدَل وعِلَلُهُ. ٢ بدل الهاء. ٣ بدل الالف. ٤ بدل الواو. ٥ بدل الياء

الباب الثامن وهو باب النَّقْط: ستّة فصول

منها: ١ شروط النَّقط وعِلَلُهُ. ٢ ضروب النَّقط. ٣ ما لا يُنقَط موصولًا ولا مفصولًا. ٤ ما يلزمهُ النَّقط متّصلًا ومنفصلًا. ٥ ما استُغنِيَ عن نَقطِهِ مؤلَّفًا وغير مؤلَّف وان نُقِط احيانًا. ٦ ما يُستغنَى عن نقطِهِ في حال انفرادهِ ويلزمهُ النقط عند اتّصالهِ

الباب التاسع وهو باب الشَّكل: ثلاثة فصول

منها: ١ شروط الشَّكل وعِلَلُهُ. ٢ ماهو صُوَرٌ للحركات والسكون. ٣ ما (٤) هو زيادة يؤتى بها للفرق

الباب العاشر وهو باب القوافي والفواصل: خمسة فصول

منها: ١ شروط كتاب القوافي والفواصل. ٢ المقيَّد وهو الموقوف. ٣ المطلق المنصوب. ٤ المطلق غير المنصوب. ٥ ما يَرِدُ من القوافي والفواصل الى القياس وغيرهِ

الباب الحادي عشر وهو باب رسوم خطوط الكُتُب: خمسة عشر فصلًا

منها: ١ جملة عدد الحروف وهيآتها واختلاف صورها وألفاظها ومعرفة رسومها. ٢ جدول رسوم صور الحروف متّصلةً ومنفصلةً. ٣ شرح رسوم هذا الجدول مفصّلًا. ٤ معرفة تقليب القلم في مجالهِ. ٥ جدول الخطّ الذي يسمَّى المثقيف. ٦ جدول الخط الذي يُدعَى الامساك ٧ شرح ما أُجمِل في هذين الجدولين من الطآت وغيرها. ٨ ما يحسن (٥) من ذلك ويَقبح من ردّ الياء او تعريقها وما يَقبُح ٩ ما يجوز فيهِ التدوير او الادغام ومايقبُح ذلك فيهِ. ١٠ ما يحسُن من الكسر والتعليق والالصاق وما يقبح. ١١ ما يحسن من إمالة الاشياء وتسويتها وما يقبُح. ١٢ شكل الكاف وتعريقهِ وما يحسن من ذلك ويقبح. ١٣ معرفة مقادير التعريق. ١٤ وجوب الفرق وتركهُ عند اجتماع الاشكال. ١٥ حسن التقدير وتسوية السطور واختلاف الخطوط

الباب الثاني عشر وهو ما أُلحِق بالهجاء وليس منهُ: ستّة وعشرون فصلًا

منها: ١ الغَرَض في ما ضُمِّن فصول هذا الباب. ٢ ما يُفتتَح بهِ الكُتُب. ٣ ما يصدَّر بهِ الكُتُب. ٤ ما يُردَف بهِ الكتب. ٥ مَبدَأ التاريخ ومبتدأهُ وكيف استعمالهُ. ٦ معرفة التاريخ بغرَّة الشهر. ٧ معرفة التاريخ بما بقي الغرَّة. ٨ معرفة التاريخ بالنصف وما بعدهُ.

مؤتمر سورية في مرسيلية

نظر للاب لويس شيخو اليسوعي

انّ موقع مرسيلية على البحر المتوسّط قد جعلها منذ سالف الاعصار مرفأً معتبرًا يباري فيه الفرنسويون الامم المجاورة كالايطاليين واليونان والسوريين في نقابة البحر المتوسط. وقد زاد ثغر مرسيلية شأناً في عهد الصليبيين لتواتر المعاملات بين فرنسة وسواحل الشام

ولم تخمد هذه الحركة التجاريّة بعد الحروب الصليبية تماماً لكنّها خفّت بغزوات القرصان من اهل الجزائر وجهات الاتراك الى ان أُبرمت بين الملك فرنسيس الاوّل وسليمان القانوني سنة ١٥٣٥ تلك المعاهدات الشهيرة التي خوّلت التجار الفرنسويين امتيازات خاصة في معاملاتهم مع الدولة العثمانية وقد تجدّدت بعد ذلك ثمّ توسّعت سنة ١٥٦٩ و١٥٨١

فنالت مرسيلية من هذه المعاهدات نصيباً حسناً من رقي تجارتها ثمّ اخذ كبار المتموّلين فيها ينشئون الشركات التجاريّة من ذلك العهد ويعمرّون السفن لتلك الغاية. وقد امتازت بين تلك الشركات واحدة منها تُعرف بغرفة مرسيلية التجاريّة باشرت بمعاملاتها في اوائل القرن السابع عشر ثمّ تقلّبت عليها الاحوال فراجت احياناً شؤونها وكسدت احياناً أُخرى الى ان ثبّت دعائمها الملكُ لويس الرابع عشر بهمّة وزيره

الشهير كُلبرتْ (Colbert) سنة ١٦٨٥ وسهّل لارباب دولته المعاملات التجارية مع ثغور الدولة العثمانية ولا سيما مع بلاد الشام

وللغرفة مرسيلية تاريخ جليل يدلُّ على ما ادَّتهُ البحريَّة الفرنسويَّة من الخدم المديدة لاوطانها كما انها افادت الدولة العثمانية بنقل السلع الاوربيَّة اليها. ومن خدمها المشكورة انَّها فتحت لنصارى الشام مصراً جديداً اخذوا يخرجون فيه من خمولهم وخفَّ من عاتقهم نوعاً نير الاتراك بحماية ملوك فرنسة ومساعدة المرسلين اللاتين

وهذه الغرفة قد ثبتت على اعمالها في هذه المدَّة الطويلة بحسن ادارة عمدة خاصة من تجار مرسيلية يعهدون اليها امور الشركة تحت نظارة احدهم ممَّن يختارونه بموجب قوانين مقرَّرة. ورئيسها الحالي هو المسيو ادريان ارتو (Ad. Artaud)

فلمَّا افتتحت سورية بانتصار الدول المتحالفة وعلت جلبة بعض المتشدقين الذين طلبوا وضع سوريَّة تحت وصاية بريطانية العظمى او الولايات المتَّحدة او ملك الحجاز نهض ذوو العقول الراجحة والعارفون بحقائق التاريخ واثبتوا انَّ في هذا العمل هضماً لحقوق فرنسة الراهنة التي استحقَّتها بمعاملاتها وبالامتيازات التي نالتها منذ سالف الاحقاب فاحتجُّوا على الماكرين واوقفوهم عند حدودهم

وممَّن سعوا في ذلك السعي الحسن ارباب غرفة مرسيلية التجاريَّة فانَّ رئيسها المشار اليه مع حاشيته ولاسيما كاتب اسرارهِ المسيو هنري برنيه (H. Brenier) نوَّهوا بانشاء مؤتمر يُعقد في حاضرتهم مرسيلية دعوا اليه كل من تهمّه المسائل الشرقيَّة وعلاقات فرنسة مع انحاء الشام

فكان لهذا النبأ صدًى بعيدة في قلوب الوف من الفرنسويين هبوا لاخراجه الى حيّز العمل بهمَّة قعساء. فما مرَّ عليهم شهر واحد حتى تألبوا من كل صوب وأوب. فكان من جملتهم رجال من مجلسَي نواب الدولة وشيوخها ومن نخبة العلماء والمستشرقين والاثريين والاطباء ومن علية التجَّار وارباب الصنائع المتاجرين مع سوريَّة ومن رؤساء الرهبانيات المبشرة في الشرق الادنى ومن الكتبة والصحافيين. فتمَّ انتظام سلكهم في وقت قريب ادهش الجميع. وقد احبَّت الجالية السوريَّة في باريس ان تشارك الفرنسويّين في هذا العمل فأجابوا بالرضى الى طلبها

كان موعد المؤتمر في العشر الاوَّل من كانون الثاني من السنة المنصرمة ١٩١٩

فعُقدت جلساتهُ في مدّة ثلاثة ايام من ٣ الى ٥ من الشهر وكانت عُهِدت رئاسة المؤتمر الى احد نوّاب مجلس العموم المسيو فرنكلين بوليون (Franklin-Bouillon) رئيس لجنة الامور الخارجيَّة معهُ النائب المسيو دي مُنْزي (de Monzie). اما نادي الاجتماعات فكان في ذات غرفة التجارة. وهو معهد واسع مزيَّن بالنقوش الملوَّنة البديعة والتصاوير الممثلة اعمال الشركة في انحاء الشرق

وكان عاقدو المؤتمر قد قسموا المواد التي تدور حولها الابحاث الى اربعة اقسام القسم التعليميّ والتهذيبيّ ثم القسم الاقتصاديّ ثم الاثريّ والتاريخيّ واخيرًا القسم الطبّي والصحّي وقد تحاشوا المسائل السياسيَّة دفعًا لكل سوء تفاهم ومشاحنة ونِعْمَ ما فعلوا فتمَّ هذا المؤتمر بوئام ووفاق عجيب لم يُسمع فيه صوت مخالف

ومع قلَّة الوقت الممنوح المدعوّين الى المؤتمر قد وردت على عمدة مرسيلية المقالات المتعدّدة البالغة نحو المئة لتُتلى في جلسات المؤتمر المختلفة. وهذه المقالات قد طُبعت بعد ختام المؤتمر وهي بين يدينا في اربعة مجلّدات واسعة

كان افتتاح المؤتمر بعد ظهر يوم الجمعة الواقع في ٣ كانون الثاني حيث دخل اعضاء المؤتمر في عدد ١٥٠ مع عدد مثله ممَّن ارسلوا اشتراكهم باعماله غائبين لأمور يأتهم او اشغالهم. فبعد الترحيب بالقادمين قام رئيس الغرفة مسيو ارتو وشرح اسباب عقد المؤتمر في مرسيلية اذ هي باب فرنسة الى الشرق ومنها خرجت منذ القرن الثاني عشر معظم البعثات السياسيَّة او التجاريَّة الى سوريَّة ثمَّ دعا المسيو فرنكلين بوليون الى رئاسة المؤتمر. فلمَّا تصدَّر المنصب خطب خطبًا مصقعًا ذكر غاية المؤتمر وهي ان يبيّن اعضاؤهُ بالشواهد العلميَّة انَّ فرنسة مدَّة قرون متوالية كانت لسوريَّة عضدًا وعونًا في جميع ظواهر حياتها ولا عجب ان لاحت بذلك لكلِّ ذي عينين صحَّة مدَّعيات الفرنسويين في عهدة سوريَّة وانَّ تحاشوا كلَّ بحث سياسي في المؤتمر

وبعد هذه المقدّمات انقسم اصحاب المؤتمر اربعة اقسام انفرد كلٌّ منها على حدة في حجرة خاصَّة وهذه لمحة مختصرة في بعض اعمالها

١ (القسم الاثري والتاريخيّ) ترأَّس جلساتهِ الاثريّ الشهير صاحب التآليف البديعة المسيو ارنست بابلون (Babelon) احد اعضاء الاكادمية الفرنسويَّة فخطب خطابًا بليغًا ذكر فيهِ بالاجمال المشروعات الفرنسويَّة سواء كانت في فرنسة ام في سوريَّة

التي تشهد بلسان حالها عن مقام الدولة الفرنسويّة بإزاء سوريّة التي استحقّت ان تدعى من جرّاء ذلك «بفرنسة الشرق» لما تشرّبته من روح فرنسة واكتسبته من مدنيّتها

وممّا تُلي في هذا القسم من المقالات الرائقة الحريّة بالذكر مقالة المسيو لويس برهيه (L. Bréhier) احد اساتذة كلّية كلرمون في «بادئ العلاقات بين فرنسة وسوريّة وحماية الملك شرلماني جمع فيها الادلّة التاريخيّة المثبتة نفوذ هذا الملك العظيم لدى هارون الرشيد وتولاة حماية الامكنة المقدّسة مع حماية النصارى القيمين في انحائها

ومنها ان المسيو اوجان دوبرا (E. Duprat) بحث في المواصلات بين اهل پروڤنسة وسوريّة من القرن الخامس الى عهد الصليبيين بلوح منه انّ اهل جنوبي فرنسة من قديم العهد عرفوا طريق سوريّة وبادروا الى المعاملات معها. وقد اتمّ هذا البحث الكاهن ارنو دَنيال (Arnaud d'Agnel) مثبتاً متابعة اهل پروڤنسة تلك المعاملات من زمن الصليبيين حتّى القرن الثامن عشر

وخطب المستشرق كليان هوارت (Cl. Huart) عن حدود سوريّة الطبيعيّة متتبعاً آراء الكتبة الاقدمين في ذلك ومنتقداً لها. وبيّن المسيو دي مرتون (E.de Martonne) من اساتذة كلية باريس وحدة سوريّة الجغرافية. ودار خطاب المسيو غودفروا ديمبين (Gaudefroy-Demombynes) من اساتذة المكتب العلمي في باريس على العلوم الفرنسويّة في سوريّة

وثلثة من اليسوعيين في هذا النادي تلت خُطب حضرة الاب كلود شانتور (C. Chanteur) رئيس رسالتي سوريّة وارمنية. والاب لويس جلبرت (L. Jalabert) مدير مجلة الدروس في باريس. والاب غ. زموفن معلّم الطبيعيّات في كليتنا. فخطب الاوّل عن الدروس الشرقيّة في كليّة القديس يوسف. ودار بحث الثاني من علم الآثار فيها. امّا الثالث فخصّ كلامهُ بالطبقات الارضيّة وجيولوجيّة لبنان

وممّا افادهُ حضرة الآباء الدومنيكان الفرنسويين في القدس الشريف سعيهم في الابحاث الاثريّة في جهات فلسطين وانحاء الاردن ما اكسبهم شهرةً واسعة بين العلماء. وكذلك بيّن البعض ما ادّتهُ الجمعيّة الجغرافيّة الفرنسويّة من الخدم المشكورة لتعريف سوريّة واحوالها الجغرافيّة

وخطب وطنيّنا الدكتور الفرد خوري عن « استشهاد لبنان » وما قاساه اهله من الشدائد وقت الحرب لحبهم افرنسة . وفي آخر هذا القسم التاريخي خارطة بديعة تبيّن لناظرها مآثر فرنسة في سورية

٢ (التعليم والتهذيب) انّ سهم فرنسة في سورية من هذا القبيل هو الفائز الذي لا يجاريه غيره . وقد تعدّدت في المؤتمر المقالات المثبتة لسعة نطاق الاعمال التهذيبية والمدارس التي انشأها الفرنسويون في سورية والبلاد المجاورة من كلّيات ومدارس طب وحقوق وهندسة ودروس عليا ووسطى وابتدائية تشمل كلّ طبقات الاهلين . ومنها مدارس اكليريكية في بيروت والقدس والموصل والاستانة . ومنها معاهد علمية كمطبعتنا الكاثوليكية ومطبعة الآباء الدومنيكان في الموصل و كالمرصد الفلكي في كسارا . ومنها معاهد خيرية للايتام والصنعة ودور معلّمين في كلّ انحاء سورية وفلسطين وما بين النهرين والاناضول . ومنها المطبوعات والتآليف العديدة التي قام بها المرسلون وغيرهم وفضل نشرها عائد الى المرسلين الفرنسويين . وفي آخر الجزء المختص بالقسم التهذيبي جدول المدارس والمشروعات التهذيبية التي انشأتها فرنسة في سورية وحدها وهو يستغرق ثلثين صفحة طبع على ترتيب حروف المعجم . وكفى به دليلًا لامعًا على فضل فرنسة وتفانيها في خير سورية وكان رئيس المؤتمرين في هذا القسم المسيو پول هوڤلين (P. Huvelin) احد اساتذة الحقوق في كلية ليون

٣ (القسم الاقتصادي) قامت فرنسة بمشروعات اقتصادية عديدة في سورية رغمًا عمّا لقيته في طريقها من المعاكسات والمزاحمات الدولية . واخصّ ما يُذكر من ذلك المعاملات التجارية التي تعاطاها اهل فرنسة وسورية منذ عدّة قرون . وقد ربحت سورية من هذه المعاملات ما اغنى كثيرين من اهلها وممّا اعلن به المسيو مورغ دالغ (Mourgue d'Algue) من كبار التجار في مرسيلية انّ المدفوع السنوي لسورية بدلًا عن محصولات الفيالج والحرير يبلغ نحو ٢٦،٠٠٠،٠٠٠ فرنك هذا فضلًا عن بقيّة الصادرات من سورية كالاصواف والاقطان والجلود والاثمار . وفي المعلومات الرسمية التي وجّهتها غرفة مرسيلية لوزارة التجارة سنة ١٩١٢ انّ صادرات سورية من الاسكندرونة وبيروت ويافا الى فرنسة بلغت ١٥،٠٠٠،٠٠٠ فرنك

اما الداخل من فرنسة الى سورية فكان قبل الحرب دون الداخل اليها من

النمسة ومن انكلترة . ومع ذلك قد كاد الداخل يوازن الصادر . وعلى رأي المسيو هنري غيرو (H. Guirod) الفرنسي على هذا القسم الاقتصادي انّ مستقبل سوريّة بعد الحرب سيكون بهيّاً جدّاً وهو يظنّ انّ بلاد الشام يمكنها ان تُصدر الى فرنسة في السنة ما يساوي ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ فرنك من كلّ محصولاتها المختلفة كالصوف والقطن والجلود والحبوب والبقول والزيوت والاثمار الطريّة او اليابسة والخمور والتبغ والعطريّات والبيض او معجه الخ

اما الاشغال العموميّة التي قامت بها فرنسة في سوريّة فهي ايضاً قد اجدت البلادين منافع لا تحصى كطرق العجلات والسكك الحديديّة والترامواي والمرافئ الساحليّة مع رصفها ومعامل الكهرباء والغاز والحرير وشركات اخرى كانوا يدعونها عثمانيّة عاملة لتركيّة وهي في الحقيقة فرنسويّة كالبنك العثماني وغيره . فكلّها تريد اثباتاً لقول القائل انّ سوريّة هي فرنسة الشرق

٤ (القسم الطبّي والصحي) كان متولّي رئاسته استاذ مكتبنا الطبّي الفرنسوي الدكتور دي برون فيتّضح من مجرّد تعيينه لهذا المقام ما كان لذلك القسم من عظيم الشأن . وقد امتاز فيه اساتذة مكتبنا فخطب الرئيس عن لوائح الطاعون في بيروت وتجيزاته ومعالجاته . وخطب الدكتور نكر عن احوال الجوّ في سورية وعلاقاتها مع الصحّة ثم اختصر تاريخ مكتبنا الطبّي الفرنسوي . وخطب الدكتور كوتار عن عمليّاته الجراحيّة التي اجراها في بيروت مدّة ستّة اعوام . والدكتور دي بيرلونغ عن صحّة العيون وعللها الشائعة في سوريّة . والدكتور هاش عن بعض قروح سبّبها الحقن بالكينا . والدكتور الفرد خوري عن الهيجيّين العموميّة في فصول السنة

وقد خطب طبيبان من غير اطباء مكتب بيروت احدهما الدكتور اودو (Oddo) من معلّمي مدرسة الطب في مرسيلية ذكر ما لفرنسة في سوريّة من المشروعات الصحيّة كالمستشفيات والمستوصفات والمساعدات المختلفة للمرضى ما يثبت ايضاً الارجحيّة لفرنسة من هذا الوجه والثني خصوصاً على همّة راهبات المحبّة وراهبات مار يوسف وراهبات قلبي يسوع ومريم معلناً رجاءه لدى اصحاب المؤتمر بان يسعوا بتوسيع هذه الاعمال وتعميمها

والآخر هو الدكتور مورا (L. Murat) وصف باسمه وباسم اخيه ما يحتاجه

المسافرون بحرًا من فرنسة الى سورية لمراعاة صحتهم ذاكرًا اما لحظة مع الخبر من ذلك في سفر الزوّار السنوي الى الاراضي المقدسة

ولا بدّ هنا قبل الختام ان نخصّ بالذكر عملًا مهمًا قام به الدكتور بول ماسون (Paul Masson) الاستاذ في كلية إكس وهو قائمة التآليف الفرنسوية او المطبوعة بهمّة الفرنسويين عن سورية . وقد طُبع هذا الجدول في كتاب ضخم يبلغ ٥٢٧ صفحة جمع فيه المؤلف ٤٠٤٦ كتابًا دوّن اسماءها واسماء مؤلفيها ومكان طبعها وعدد صفحاتها . وختمها بفهرسين ذكر في الاول المؤلفين على ترتيب حروف المعجم وفي الثاني روى التآليف على حسب مواضيعها من جيولوجية وآثار وعاديات وجغرافية واسفار وتاريخ وآثار قديمة ولغويات وعلوم وصنائع واديان وتحت كل باب تقاسيم مختلفة غاية في الافادة هي كخلاصة العلوم السورية

فلا يسعنا الّا الثناء الجميل على كلّ من قاموا بانشاء هذا المؤتمر واشتركوا في ترويج اعماله فانّه مفتتح عصر جديد نرجو منهُ نهضة كبيرة لقطرنا السوري بعد خموله لسوء سياسة الدولة البائدة فنسير الى اوج الحضارة راقين الى حيث ما تطمح اليه ابصار الشعوب الحرّة

البلشفيون، اصلهم ومبادئهم واعمالهم

نظر اجتماعي للاب لويس شيخو

هم قوم لم نسمع باسمهم قبل هذه الآونة الاخيرة وقد تكرّرت الانباء البرقية واقوال الصحف في اعمالهم السيئة في روسية والاقطار المجاورة لها . بل شرع الصوت العام ينذرنا باخطار عصاباتهم في الاصقاع القريبة منّا . فاقترح علينا بعض الاصحاب وضع مقالة وجيزة نفيدهم فيها من هذه الجماعة وعن اصلهم ومبادئهم واعمالهم فنقول :

١ اصل الشيعة البلشفية

اسم البلشفيين مشتقّ من كلمة مسكوبية معناها اصحاب الثورة وقد عرّبها بعضهم بالاكثرية تلميحاً الى مبادئهم كما سترى . وكان ظهور هذه الشيعة في هيئتها

الحاضرة بعد سقوط القيصر نيقولا الثاني الذي تنزّل عن عرشه في آذار من السنة ١٩١٧

فتألفت بعد ذلك لجنة لتدبير امور الدولة يسمّونها سوفيات مركّبة من المتدلين بين حزب الشمال الذين جاهروا بالدفاع عن وطنهم مع الدول الاتفاقية واعلنوا بمواصلة الحرب وكان برأسهم البرنس لوُوف (Luof) ورُدزيَنكو (Rodzianko) لكنّها بعد قليل وافت الى بطرسبرج (ويقال اليوم بطروغراد) لجنة اخرى من انحاء روسية انضمّت الى لجنة بطروغراد فكان تعدّدها سبباً لشتات كلمتها وتقسّمها الى حزب الوسط وحزب الشمال وحزب المتطرفين وكان لكِرَنسكي (Kerensky) في حزب الوسط القول الراجح

وكانت المانية في تلك الاثناء قد شعرت بسوء مصيرها بازاء الدول الاتفاقية فارسل الامبراطور غليوم واصحابه رجالاً الى روسية ليسعوا بنوال الصلح فرشوا بالاصفر الرنّان بعض زعماء الشعب ليبثّوا في العموم ولاسيّما في الجيوش افكار الصلح والكفّ عن الحرب فتألّف حزبٌ من الاشتراكيين دُعي بالمكسيماليست كان اولاً ضعيفاً ثم قوي شيئاً فشيئاً بواسطة اصحاب الثورة والذين مالهم شيء من اذى الحرب فلم يحسر كِرَنسكي ان يقوم في وجههم وبينهم ذوو إقدام وسطوة وقحة كلينين (Lénine) وتروتسكي (Trotsky) وزينوفياف (Zinovief) وكَنيف (Kamenef) وقد تشكّل منهم معاً شورى دُعيت بشورى الخمسة

وزادت الامور سوءاً بعد ان ضاعف الالمان جيوشهم ومشوا مع النمسويين الى ريغا ففتحوها واعلنت فنلندة استقلالها ومثلها اوكرانية. على ان الجنرال كورنيلوف امكنه حيناً ان يوقف الالمان ويردّ غاراتهم بل استرجع قسماً من البلاد التي احتلّوها لكنّ هذه النهضة خمدت نارها بعد قليل فشُعب الجند وتنذوا الطاعة لقوّادهم فعاد الالمان الى محاربتهم وتوغّلوا في ايدي سبا

واتّسع الخرق بعد ذلك وتفاقم الشرّ واجتمع المتطرّفون لمحاربة المتدلين فجرت معركة شديدة انتصر فيها المكسيماليون على كِرَنسكي في ٦ و٧ تشرين الثاني سنة ١٩١٧ ففرّ هارباً من وجه زعماء الثورة لينين وتروتسكي وزينوفياف فثبتت معهم الفوضى وعُرفوا مذ ذاك الحين بالبلشفيين

وانتشر روح الثورة بعد قليل في روسيّة الشمالية كما عمّ روسيّة الجنوبيّة وحكم على القيصر نيقولا الثاني مع آلهِ بالاعدام فضربت رائحة الدماء في رؤوس البلشفيين وقد قلبوا اليوم بلادهم ظهراً لبطن كما سترى

٢ مبادئ البلشفيين

البلشفيّة ثمرة الاشتراكيّة صدرت منها صدور الشجرة من بزرها والزهرة من كمّها وانما كانت سطوة الدولة واشتداد اربابها على اهل الثورة كابِسَيْن لشوكتها. فبسقوط سُلالة رومانوف المالكة منذ القرن السادس عشر سقطت ايضاً القوة الضابطة لتلك القوى الثوريّة اللاهبة

والحقّ يقال انّ من عرف تاريخ روسيّة وتبطّن احوالها وجد فيها من جرائم الفتن ما لم يَشِعْ في غيرها من الدول . وانما ظهرت تلك الفتن بمظاهر دينيّة غريبة انضوى الى زعمائها الوف مؤلّفة من الشعب وربّما احتاج قياصرة روسيّة لكبح شرّتها واطفاء جمرتها الى بَعثات عسكريّة ومعارك دمويّة ذهب بسببها ربوات من البشر . ومن اطّلع على مذاهب تلك الشيع وتعاليمها اخذهُ العجب من جهل الشعب الروسيّ وانقياد الامّيين منهُ الى كلّ خرافات المبتدعين وترّهات المشعوذين

ولمّا حدثت في فرنسة الثورة الكبرى في اواخر القرن الثامن عشر واخذت المبادئ الاشتراكيّة تفشو بين الشعوب اللاتينيّة استفرغت الامبراطورة كاترينا الثانية ثمّ القياصرة خلفاؤها كنانة الجهد رجاء ان يُوصَد باب روسيّة في وجه تلك التعاليم الفاسدة فنجحوا نوعاً الى اواسط القرن التاسع عشر حيث ظهرت في روسيّة شيع استمدّت مبادئها من الاشتراكيين والفوضويين واجترحت من الآثام والقبائح وقتل القياصرة والوزراء ما طنّت لهُ الآذان في كلّ انحاء المعمور

ولم تخمد هذه الفتن تماماً فانها بعد تقليم اظفارها وانقطاع دابرها عادت مراراً الى غيّها فكانت كالنار تحت الرماد وهذا ما علّل هياج البلشفيّة وانتشار آرائهم في انحاء روسيّة والبلاد المتاخمة لها انتشار النار في القصب او كانفجار البركان بلهيبه وحممهِ

وان سأل السائل ما هي الاشتراكيّة وما هي مبادئها وكيف تُناط بها البلشفيّة أجبنا :

ان الاشتراكيّة مذهب مبنيّ على آراء سوفسطائيّة يزعم بها اصحابها ان البشر

كلهم متساوون بالحقوق لا يصحّ ان يكون بينهم كبير او صغير غنيّ او فقير رئيس او مرؤوس ومن ثمّ يجب ان يُعطَوا جميعاً نصيبهم من الغذاء والراحة فيزول بذلك الفرق العظيم الموجود بين طبقات البشر اذ لا يحقّ للبعض منهم ان يستفيدوا من اشغال واتعاب غيرهم ممّن هم دونهم ثروةً

ولأنّ المُلك الموروث او المقتنى هو اصل هذا الاختلاف الموجود بين الناس في العالم فينبغي تجريد المتموّلين وذوي الثروة والاملاك ممّا تملكه يدهم فتوزّع بالمساواة على جميع الناس ليتمتّعوا بها . اذ كلّ ميزة بين البشر هي كاهتضام لحقوق الجمهور . قال فولتير : « انّ الفرق الموجود بين رجل يولد غنيّاً وآخر يولد فقيراً هو عظيم حتى يكاد الناظر اليهما يحسبهما من جنسين مختلفين . فلا بدّ من المساواة بينهما بحسم مُوجب ذلك الاختلاف اعني الملك والثروة»

فهذا المبدأ الفاسد يدكّ المجتمع الانسانيّ دكّاً لأنّ اساسه المُلك فان كان الانسان لا يستطيع ان يقتني لنفسه ملكاً بل العموم فكيف ينشط للعمل او كيف يقوم بأود حياته ومعاش اهله ومستقبل اولاده فنفيُ المُلك هو اذن الغاء العائلة واذا أُلغيت العائلة سقط معها المجتمع الانساني المتألّف منها . وهب انّ الاملاك تُقسم بين المجتمع كما يطلبون فانّ هذه المساواة لا تلبث ان تتلاشى بالمعاملات اليوميّة واختلاف الاشغال والحاجات

ثمّ ان المساواة الموهومة تنفيها الطبيعة نفسها لأنّ الطبيعة جعلت اختلافاً عظيماً بين الناس فخوّلت بعضهم صفات شخصيّة لم تخوّلها غيرهم من صحّة وفهم وحذاقة وصلة ارحام وانساب فكيف تقوم المساواة بين كلّ هؤلاء . ومن المعلوم انّ الهيئة الاجتماعيّة جسمٌ ادبيّ يشبه الاجسام المادّيّة والجسد البشريّ كما اثبته الاناء المصطفى بولس الرسول في رسائله فبيّن انّ في ذلك كما في هذا الاعضاء المختلفة التي لا غنى عن ائتلافها فكما انّ في البدن الاعضاء الشريفة كالرأس والقلب والاعضاء العاملة او الحقيرة كالايدي والارجل فكذلك في المجتمع الانساني الرفيعُ والوضيع والكبيرُ والحقير لا يستغني احدهما من الآخر

فالاشتراكيون اعداء الطبيعة اعداء البشريّة لا يستطيب مبدأهم في الغاء المُلك سوى الصعاليك والعَملة واسافل الناس ممّن يريدون التنعّم من فضل الغير دون عناء

والذين لا يقنعون بما رزقهم الله ويطمعون بنوال حقوقهم كما يزعمون اماً بالطرائق الشرعيَّة ان امكنهم واماً بالاعتصابات او باستعمال القوَّة الجابرة

وقد تفرَّق الاشتراكيون فِرَقاً شتَّى تختلف في الكم والكيف فكانت مطالبهم في ايام الثورة الفرنسويَّة خلع اعيان البلاد وإسقاط الشرفاء وتنصيب الجمهوريَّة فلمَّا فاز اواسط الشعب بهذه المناصب قام غيرهم وغالوا بمطالبهم وجاهروا بالمساواة التامَّة بين كل درجات الوطنيين كالمسمَّى بابوف (Babeuf) الذي احتجَّ على ارباب الثورة وشكا من تصرُّفهم اذ لم يراعوا اصول المساواة مذ نالوا من الثورة منفعتهم الخاصَّة. فحُكم عليه وعلى رفقته بالاعدام سنة ١٧٩٦

على انَّ اصول الاشتراكيَّة لم تَمُتْ بل كانت في مطاوي القرن التاسع عشر مدعاةً الى فتن عديدة بمساعي الماسونيَّة والجمعيَّات السريَّة في جهات اوربَّة فكان من زعمائها بعد جان جاك روسُّو في فرنسة كابه (Cabet) ولويس بلان (L.Blanc) وفوريه (Fourier) وسان سيمون (Saint-Simon) وبرودهون (Proudhon) وهو القائل: ان المُلك سرقةٌ. وفي المانية فون تونن (von Thünen) وفاغنر (Wagner) وكارل مركس (Karl Marx) وبرنشتين (Bernstein) وفي انكلترة: أوون (Owen) وسيدني وبّ (Sidney Webb)

وقد اختلفوا في تنفيذ تلك المبادئ فمنهم من كان يريد تحقيقها بالطرائق الشرعيَّة كالتصويت والانتخابات في المجالس النيابيَّة كجوريس (Jaures). ومنهم من كان يطلب ان الحكومة تضع يدها على الاملاك والثروة العموميَّة والشخصيَّة فتقسمها على كل افراد الشعب. ومنهم من كان يجعل ذلك التقسيم في حكم الجمعيَّات الخاصَّة القائمة من الأمَّة

ولم يكتفِ بعضهم بتقسيم الاملاك بل طلبوا ايضاً توزيع الاعمال على الاشخاص في ايدي الحكومة ولم يستثنوا من ذلك النساء والاطفال فالنساء يكنَّ لايّ زوج كان والاطفال يُربَون في المياتم حتى اذا كبروا تتصرَّف بهم الدولة او الجماعة كما تشاء

فهذه المبادئ السيِّئة ما تَلبث بها كاثرينا الثانية أوَّلًا ثمَّ القياصرة خلفاؤها من بعدها حتَّى سعوا كلَّ السعي بمنع انتشارها في دولتهم. ومع كثرة الاحتياطات في

روسيَّة وشدَّة الرقابة على المطبوعات كانت المبادئ الاشتراكيَّة تغلي غلياناً في مراجل صدور الشعب وكان الكتبة كلّما سنحت لهم الفرصة خفيةً او علناً يدسون في تآليفهم لاسيَّما الروايات الخياليَّة والجرائد المبادئ منها نخصُّ منهم بالذكر كاوتسكي (Kautsky) ولاون تولستوي (L. Tolstoi) . وزاد حنق الشعب على المتموّلين والاشراف لمَّا قسم بينهم اسكندر الثاني الاملاك الشائعة وكانت قبلها خاصة الدولة تمنحها من تشاء. فاصبح الفلّاحون كالعبيد تحت حكم المتملّكين . فلمَّا انتشرت بينهم مبادئ الاشتراكيين هبُّوا اليها بملءُ السرور وظهرت مفاعيلها السيئة تارةً بالثورة وتارة بالاعتصابات وحيناً بقتل القياصرة والوزراء وطوراً باطلاق المواد المتفجرة كما جرى في عهد النيهيليست وغيرهم

وممَّا زاد في روسيَّة مبادئ الاشتراكيين تفاقماً انَّها لم تجد في ارباب الدين كما في غيرها من الدول المقاوَمة الادبيَّة اللازمة ومن المعلوم انَّ الاكليروس المسكوبيَّ الّا بعض الافراد منه غاية في الجهل والانحطاط ليس له اعتبار في اعين الناس ولا نفوذ لاصلاح الآداب

فما البلشفيَّة سوى نتيجة تلك المبادئ السيئة المزروعة في قلوب العموم والتي نضجت ثمرتها المرَّة كالعلقم

٣ اعمال البلشفيين

انَّ الاخبار الواردة من روسيَّة او المنقولة عن ألسنة رجال ذوي ثقة أُرسلوا اليها للاستطلاع عن امورها تنبئ كلّها بأسوإ الاحوال

وكان اوَّل ما اهتمَّ به البلشفيُّون سعيهم بإبطال الحرب قبل نهاية وقائعها وظهور نتيجتها الاخيرة فخانوا المعاهدات مع فرنسة وانكلترة وطلبوا الصلح من الالمان . فاجتمع لينين وتروتسكي واصحابهما مع العدوّ في برست ليتوفسك (Brest-Litovsk) وعقدوا صلحاً منفرداً في ١٥ كانون الاوَّل فضحّوا وطنهم روسيَّة مع رومانية حليفتها فسلَّموها الى الالمان

ثمَّ استدعوا من ساحات الحرب الجيوش الروسيَّة فانفرط سلكها دون نظام وانضمَّت الجنود الى اهل الثورة اذ أُطلقت لها حرّيتها وكفُّوا عن توزيع رواتبها ومعاشها . فتألّفت الجمعيات الثوريَّة في كل الانحاء تمشي تحت راية البعض منهم

الى المدن والقرى النهب والسلب فيدخلون الى قصور الاشراف ودور الاغنياء والى اديرة الرهبان والمعاهد العمومية فيأخذون منها ما شاؤوا ثمَّ يحرقون او يخربون ما لا يستطاع ملكهُ وان تعدَّى لهم احد قتلوه شرَّ قتلة او اذاقوهُ من العذاب ما هو شرٌّ من الموت وربَّما انتهكوا اعراض النساء وهدموا الكنائس واستعملوا الى كل المآثم والفظائع

وكان المظنون انَّ هذه الاعمال المستقبحة ستبطل عمَّا قليل بمحاربة الجيوش المنظَّمة المرسلة من انكلترة او المجموعة في روسيَّة تحت قيادة الاميرال كولتشاك (Koltchak) والجنرال دنيكين (Denikine) لكنَّ هذه الجيوش وجدت امامها عساكر لينين وقد اخذهم العجب من عددها وعُددها وحسن تدبيرها فانها استولت على قسم كبير من بلاد القريم وحاصرت سباستوپول ودخلت بسارابية وحاربت پولونية وضربت لتڤيا واوقفت في الشمال جيوش الانكليز في أرْكنجل حتى ضايقتها

فهذه الاعمال وغيرها ايضاً ممَّا نسمع به كلَّ يوم يزيد حال روسيَّة حرَجاً ويُقصي العالم من الصلح التامّ . قال لويد جرج في بعض خطبهِ الاخيرة : « طالما لا نحصل على السلام في روسيَّة فلا يجوز القول بان العالم حظي بالصلح »

هذا كلام غاية في الصواب لأنَّ العلاقات بين روسيَّة والدول المتحضرة وثيقة ولها جميعاً مصالح سياسيَّة واقتصاديَّة لا يُحصَل عليها الّا بهدوّ الاحوال وبطلان الثورة

فمن ذلك ان روسيَّة بغلّاتها الواسعة تشبع ملايين من البشر في البلاد الاجنبيَّة فضلاً عن اهلها . واليوم بسبب الثورة أُهملت الحقول ونُهبت الغلّات وضربت المجاعة اطنابها في انحاء البلاد حتّى صارت الجماهير من الناس معرَّضة للموت وذلك في المدن كما في القرى . وصار اغلب اهل بطروغراد لا يجدون مأكلاً سوى مرَّة في النهار للغلاء الفاحش المنتشر فيها وقلَّة الوسائط الغذائيَّة . حتّى اصبح الكيلو من الخبز المبيع قبل الحرب بنصف قرش يباع اليوم بفرنكين وعشرين سنتيماً

واقبح من ذلك انَّ رؤساء البلشفيين ضبطوا المصارف وخصُّوا مالها بمصالحهم ودخلوا المعاهد العموميَّة والمعامل الصناعيَّة ودور الاشراف فاستصفوا اموالها وضبطوا مؤونتها فصارت المعاملات كلُّها بالورق المالي الذي نقصت قيمتهُ ثلاثة ارباع

وما هو غاية في الغرابة وسوء المعاملات ان اصحاب الثورة اذ وجدوا ما حل

روسية من الديون الباهظة التي كانت تبلغ قبل الحرب ٦٤ مليارًا من الروبل فبلغت بعده ١٢٠ مليارًا قد اعلنوا بإلغاء تلك الديون لزعمهم أنّها كانت على عواتق الدولة الساقطة لا يلزمهم دفعُها وهذا امري تتخّل غريب . وللفرنسة وحدها على روسية من الدين سبعة مليارات ونصف من الروبل الذهبي

فترى في ايّ هاوية وقعت روسية بمبادئ البلشفية وقد رفع عقلاء الروس اصواتهم طالبين من الدول ان ينقذوهم من تلك الاهوال . وقد ارسل البعض من رؤساء دينهم هناك رسالة الى الحبر الاعظم بندكتوس الخامس عشر ينشدونه الله بان يقبّح اعمال البلشفيين لأنهم يرعون عن غيّهم(١ . هداهم الله الى سواء السبيل ووقانا من شرور الاشتراكية فيعود العالم قريباً الى سلامه امين

ترقي علم الاجسام المشعّة

لاحد الآباء اليسوعيين

منذ اكتشاف العلّامة رنتجن الاشعّة المجهولة (rayon X) سنة ١٨٧٥ في اساطين كروكس الفرغة من الهواء اقبل الطبيعيّون على درس تلك الاشعّة الغريبة . وما لبث الدكتور بكرل (Becquerel) الفرنسيّ ان اكتشف انبعاث اشعّة مثالها من الاورانيوم (uranium) في سلفات الاورانيل والبوطاسيوم . وتبعهما موسيو كوري (M^r Curie) وزوجتهُ فدرسا خواصّ الاورانيوم الذي وقف عليهِ المسيو بكرل فأثبتا انّ هذه الاشعة تزيد قوّةً في بعض المركّبات ولا سيما في ضرب من التربة المعروفة بالبشلند (pechblende) الموجودة في النمسة . فاخذا يجدّان في افراز عنصر الاورانيوم من تلك التربة واذا بهما وقفا على عنصرين آخرين مشعّين دعوهما بالراديوم (radium) والبولونيوم (polonium) . واضاف اليها بعد قليل الطبيعي

١) وممّا يحسن ذكرهُ انّ البلشفيين في غرّة شباط ١٩١٨ ألغوا التاريخ الشرقي وباشروا باستعمال التاريخ الغربي المعروف بالغريغوري فجعلوا اليوم الاوّل من شباط الرابع عشر منهُ . فان شاء الله يعمّ هذا التاريخ كلّ الكنائس الاورثذكسية من روم وارمن وسواهم ايضاً

الفرنسوي دوبيارن (Debierne) عنصراً آخر سمّاهُ اكتينيوم (actinium) ثمّ اكتشفوا اجساماً مشعّة أخرى وهي الهيليوم (hélium) والثوريوم (thorium) والايونيوم (ionium)

ولكل هذه الاجسام خواصّ عجيبة لا يزال العلماء منكبّين على درسها فيجدون كل يوم من امورها ما يدهش العقول . فمّا تبيّنهُ المسيو بران (M. J. Perrin) ان الاشعّة التي تستقطب سلبيًّا في اساطين كروكس (rayons cathodiques) لها سرعة فائقة فانّها في الثانية تقطع ٣٠،٠٠٠ كيلومتر بالتقريب مع ان جرمها اصغر من جرم الهيدروجين بنحو ١٧٠٠ ضعف ودقائق الهيدروجين كانت في السابق معدودة كاصغر اجرام العناصر الهيولية . امّا الاشعّة المستقطبة ايجابيًّا (rayons anodiques) في اساطين كروكس فسرعتها دون الاشعّة السلبيّة كثيراً فانها لا تقطع في الثانية سوى ٣٠٠ كيلومتر وجرمها كجرم الدقائق الهيولية . وقد علّلوا خفّة اشعّة رنتجن وقوّة نفوذها بتركيبها الخاصّ من تموّجات كهربائيّة ومغناطيسيّة تجعلها انفذ من اشعّة الطيف الشمسي الواقعة ما وراء البنفسجي (rayons ultra-violets)

وممّا استفادوا من درس الراديوم انّ الاشعّة على ثلاثة مظاهر افرزوها بالعلامات اليونانيّة α، β، γ لكلٍّ منها خواصّ مختلفة على اختلاف استقطابها . واشدّها فعلاً القسم الموسوم بعلامة γ فان هذه الاشعّة يمكنها ان تنفذ في صفيحة من الرصاص سمكها ستّة مليمترات وملفوفة بصفحتين من الالومينيوم سمكها ازيد من مليمتر

وافاد المسيو كوري وزوجته انّ هذه الاجسام المشعّة ما عدا خواصّها الذاتيّة تبعث مائعاً غازيًّا يلتصق بالاجسام المحيطة به فيوليها قوّة مشعّة ثانويّة (radio-activité induite) . وقد جمعا رواسب من ذاك المائع فوجدا له قوّة مشعّة اعظم من عنصره المتولد منهُ بنحو ١٠٠،٠٠٠ ضعف . وقد حلّلا هذه الانبعاثات فوجدا لعنصر الراديوم ستّة اجسام ولعنصري الثوريوم والاكتينيوم جسمين

وممّا تحقّقهُ ايضاً العلماء انّ بين هذه الاجسام المشعّة كلّها ارتباطاً عقليًّا على حسب ما يدخلها شيء من الدقائق الهيوليّة الخاصّة المختلفة الثقل . فانهم يظنون ان الهيليوم هو انبعاث الراديوم وان البولونيوم احد مظاهر الراديوم وكذلك يرتأون ان البولونيوم لا يختلف عن الراديوم والايونيوم الّا في بعض هيئاته

ومن غريب هذه الاجسام انَّ درجة حرارتها ارقى من الحرارة الجويّة فقد قاسوا حرارة املاح الراديوم فوجدوا ان غراماً منها يبعث في الساعة ١١٨ مقياساً صغيراً (petites calories) من الحرارة وان غراماً من الراديوم الصرف يبعث في الساعة ٣,٠٠٠,٠٠٠ من مقياس الحرارة الكبير (grandes calories) اعني ما يساوي خمسة قناطير من الفحم

على ان استخراج كمّيات قليلة من هذه العناصر المشعّة يقتضي تحليلات كيمويّة طويلة كانوا اوّلاً يستخرجونها من التُربة المذكورة سابقاً اي اليشبلند. ثم وجدوا مركّبات اخرى تحتوي منهُ بعض الاجزاء كبعض الفلزّات المدعوّة في البرتغال بالاوتونيت (autonites) وغيرها في اميركا في جهات كولورادو يسمّونها كرنوتيت (carnotites) فاستخلصوا منها عدة غرامات من الراديوم تباع بمبالغ فاحشة حتّى انَّ الغرام الواحد يساوي من عشرة الاف الى عشرين الف فرنك . وفي اواسط السنة ١٩١٤ عالجت شركة فرنسويّة في سان دنيس (Saint-Denis) ثلاثة الاف طنّ من فلزّات برومور الراديوم استخرجوا منها نحو ١٠ غرامات من الراديوم يساوي ثمنها ٤,٠٠٠,٠٠٠ فرنك اعني ٤٠٠,٠٠٠ فرنك الغرام الواحد

وفي موتمر بروكسل سنة ١٩١٠ رأى العلماء انّهُ لا بُدَّ من وضع معيار دوليّ لهذا العصر لكي تجري الدول على موجبهِ فجعلوا لذلك المعيار اسم «كوري» اشارةً الى فضل المسيو كوري وقرينتهِ في درس هذه الاجسام المشعّة . ووحدة ذلك المعيار هي كمّية ما ينبعث من غرام واحد من الاشعّة . ويرجعون خصوصاً الى القسم الالف من الغرام (millicurie)

وقد تعدّدت اليوم فوائد الراديوم فيستعملهُ الاطباء لمعالجة السرطان والقروح والبثور الجلديّة واتخذهُ ارباب الصناعة لعدّة فوائد في استحضار الانسجة وغيرها

وممّا افادت اكتشافات الاجسام المشعّة انَّ الدقائق الكيمويّة التي كانوا يزعمون سابقاً انها غير منقسمة قد ثبت انها مجموع قوى كهربائيّة مرتبطة ببعضها فتفرز تلك القوى انبعاثات متواصلة لا تكاد تنفد . فان غراماً واحداً من الراديوم يبعث في الثانية ٣٦ الف مليار من تلك الانبعاثات ويمكنهُ ان يواصل هذا العمل مدّة ٢٨٨٠ سنة فيا لله كم من العجائب في الخليقة تشيد بعظمة الخالق !

اعتراف اليهوديّ

تعريب بتصرُّف لرسالة الاب لويس لِنوار اليسوعي

بقلم حضرة الخوري مارون غصن مدرّس البيان في كليّة القديس يوسف

لمّا زار حضرة الجنرال غورو كليّة القديس يوسف في ٢٨ ت ٢ استقبلهُ تلامذتها في ساحة الدار فتلا احدهم تقريظًا ذكر في اثنائهِ احد معلّمي الكليّة الاب لويس لِنوار الذي خدم في الحرب العمومية الاخيرة بين جيوش الجنرال ببسالة وتفانٍ عجيبين فاستحقَّ في ساحات قتال الارغون ان يعلّق الجنرال على صدره وسام جوقة الشرف. وبعد قليل سقط الاب المذكور في ميدان الوغى ضحيَّةَ حبّه لوطنهِ وقيامًا بخدمة نفوس الجنود. فأثَّر هذا التذكار في قلب حضرة الجنرال فأجاب بهذه الالفاظ المستحبَّة: «ما كنتُ لأنتظر ان تلمّحوا الى ذكرٍ من تذكارات الحرب حفظتُهُ في قلبي محفوفًا باشدّ عواطف الحبّ والاسف. نعم اني لمّا استلمتُ قيادة جيش المستعمرات سنة ١٩١٥ وجدتُ فيهِ المرحوم استاذكم الاب لنوار وقد اقام معي وبالقرب مني زهاء خمسة اشهر وعرفتُهُ حقّ المعرفة فانا اشهد لكم اني لم اجد جنديًّا ابسل ولا افرنسيًّا افضل من الاب لنوار»

وكان تأثُّر الجنرال عند تلفُّظهِ بهذه الكلمات شديدًا فبكى كثيرون عند استماعهِ وصفَّق الجميع تصفيقًا حادًّا القائلهِ الكريم

وللاب لنوار رسائل عديدة كان يكتبها لاخوتهِ الرهبان في ساعات الفراغ وهو في الخنادق. ومن جملتها الرسالة الآتية التي روى فيها خبرًا مفكهًا وهو اعتراف جنديّ يهودي لاحد رفقتهِ قبل وفاتهِ في ساحات الحرب. فآثرتُ تلخيصهُ لقرّاء المشرق. قال الاب المذكور:

هذه رواية لطيفة لم يكن لي فيها دَوْر ولا شهدتُ تمثيلها لكنّي سمعت تفاصيلها من الضابط جان – وهو رجل ثقة من اخلص اصدقائي واشدّهم حماسة. ومع كونهِ ضابطًا تُخشى لَمحتهُ ولين بَشرتهِ فتاةً خَفِرة لكنَّهُ بعزمهِ ولطفهِ كان نال إكرام جنودهِ ووقارَهم وهو يدعوهم ابنائهِ حتى الملتحين منهم يعدل فيهم وينصف المظلوم من الظالم

وكان من جملة «اولادهِ» جندي يدعى يوب او ايوب شاب من اليهود المقومين تبدو على وجههِ آثار الذل والضراعة. ومن رآهُ ملتحفًا بكسائهِ الطويل الوسخ الازرق اللون الضارب الى الخضرة ظنَّهُ احد اوباش «البوش» فما كان يظهر في حلقة الجند الّا علت جلبتهم وكثرت قهقهتهم وتناوبتهُ سهام الشتيم ينبزونهُ بالالقاب المضحكة وذلك ليس خبثًا بل تفكّهًا فيتذلّل المسكين امامهم حتى يسترحم ذوي الرحمة

وكان الضابط جان في مقدّمة المدافعين عنهُ . واذ كان أيوب رثّ الحالة فقيراً نقيراً من احد اسباط اسرائيل المدقعة لم يفكّر فيهِ احد من اهلهِ او عشيرتهِ ليرسل اليهِ بشيء من الألطاف لكنّ جان عريف الجند كان يأخذ على نفسهِ الاصطناع اليهِ وكان كلّما وصلتهُ هديّة من امهِ شطّرها واعطى اكبر حصّة نصيبهُ أيوب . فعمل ذلك في قلب أيوب وصار اتبع لجان من ظلّهِ منهُ لا يفارقهُ البتّة حتى كان جان يتضايق احياناً من ملازمتهِ له الّا ان حمايتهُ هذه لأيوب وتقسيمهُ معهُ حلويات امهِ احرزت لهُ فخراً واعتبارًا حتّى صار يحبّهُ رغماً عن سوء احوالهِ

قال الاب لنوار : وكان جان يأتيني حيناً بعد حين ويقصّ عليّ متبسّماً نوادر صديقهِ أيوب فقلت لهُ يوماً : « الك لا ترشدهُ وتسعى في هدايتهِ الى الدين ؟ فاستغرب جان ضاحكاً حتّى استلقى فقال : وكيف اسعى في هدايتهِ وهو لا يؤمن بإِله ولا بشيطان . بل ليس هو يهوديًا باكثر منهُ مسيحيًا او تركيًا . فتراهُ اذا ما وقع بيننا حديث في الدين يضحك ويقهقه كالأبله . فثبت عندي يا ابتِ انهُ لا يستطيع ان يعتقد شيئاً اذ لا نفس لهُ

– ويحك كيف تزعم ذلك عن احد ابناء جنسك ؟

– لا تلمني يا ابتِ لكنّي اكرّر قولي انّ ايوب حيوان في صورة انسان لا نفس لهُ

مرّت عليّ ايام بعد هذا الحديث واذا بجان اتاني في احدى الليالي الاخيرة وقد بلغ منهُ التأثّر اقصاهُ فقلت لهُ : « ما الامر ؟

فقال : كنتُ الليلة اعسُّ ومعي ايوب وثلاثة من رجالي واذا بعسس العدوّ قد قرب الينا فرمينا منهم اثنين او ثلاثة . ففرّوا هاربين لكنّ واحدًا منهم اطلق بندقيّتهُ علينا فأصاب ايوب في بطنهِ فوقع صريعاً واخذ يزفر ويئنّ فكاد يعرّضنا لضربات العدوّ . فزجرتهُ ليسكت فازداد انيناً فأشرتُ الى اثنين من رجالي أن : تواريا . والى الثالث وهو مارسال ان : ائتني فساعدني انتقل أيوب الى خندقنا

ونحن سائرون واذا بالعدوّ احسّ بنا فأطلق رشّاشه علينا فما نجونا الّا بتزولنا في حفرة خدّدتها قنابل البوش فلطينا فيها ثلاثتنا

واذا بأيوب يجذبني بثوبي ليقرّبني منه فقال : بحياتك أعلمني ما رأيك في جرحي أيمرضني لخطر الموت ؟

قلت : ربّما نعم وربّما لا

قال وكم تظنّ انه بقي لي من الحياة ؟

قلت مازحاً لاسكّن روعه مع جهلي بما سيحلّ به : ان لم يصبك زُكام في الدماغ ستعيش ثلاثين سنة

فضمّني حينئذٍ الى صدره بشدّة وقال : بالله عليك دع المزح فاني اراني مائتاً لكني لا اريد ان اموت هكذا . فهيّاً واسمع اعترافي

فقلت له : انت الآن تمزح ولاتَ حين مزاح . ألا تعلم اني لا احبُّ الاستخفاف بالدين . فاربأ بنفسك

قال : لا لا يا جان استُ بمازح . قد فكّرتُ كثيراً فثبت عندي انك لم تغمرني بفضلك واحسانك حتّى الآن الّا لصحّة دينك فعلى هذا الدين أُريد ان اموت فهيّاً هيّاً واسمع اعترافي

فرماني كلامه في دهش وحيرة . . . فلو رددتُ طلبه زدتُه وجعاً وان سمعتُ اعترافه بخطاياه . . . لكني لستُ انا بكاهن . . . فوددتُ لو عرض عليّ احد ان اقوم فاهجم على البوش وانزع من ايديهم الرّشاش الذي كانوا يطلقونه علينا لعلّني لاتخلّص من لجاج اليهودي

واما كذلك واذا بفكر خطر على بالي فقلتُ لأيوب : ألا تعلم انّ الاعتراف لا ينفع دون المعموديّة

فاجاب للحال : إذن عمّدني

فقلتُ في نفسي : هذا اقدر عليه . اليس كذلك يا ابتِ ؟ . . . فاخذتُ حفنة يدي من الماء الذي في حفرتنا والله اعلم اكان نظيفاً ام لا ونحن في ظلام دامس . ولكن لا بأس فان هذا الماء لعماد أيوب وشتّان بين النظافة وأيوب . . فعمّدتُهُ وانا لا اجهل صورة العماد لأني اتقنتُ قديماً التعليم المسيحي . أفما احبتُ بعملي هذا يا أبانا المرشد ؟

لكنّ أيوب المسكين لم يكتفِ بالعماد فرجع يلحّ عليّ لاستماع اعترافه حتى

أيومني. ثمَّ قلتُ: لا بأس ان أتظاهر باستماع اعترافه لئلّا اكدّره ثمَّ أطلع حضرتك على الامر. فقلتُ للارسال وهو لا يستطيع ان يتحرَّك خوفًا من الرَّشاش: سدَّ أذنيك. ثمَّ اشرتُ الى أيوب بان يباشر الى اعترافه: فاندفع يطلعني على عُجَره وبُجَره والباح لي بكل مكنونات صدره وكانت السلسلة طويلة. ولا عجب اذ كانت تلك الخطايا تُبهظهُ وتُقلق ضميرهُ فاراح قلبهُ باقراره عنها

فلمَّا انتهى لم ادرِ ما اقول له وانّا تلوتُ على رأسه الصلاة الربيَّة ثمَّ قلتُ له أن: ثِقْ بالله فانهُ ارحم الراحمين

فحدّث يا ابتِ عن فرح أيوب بعد اعترافهِ ولا حرج فانهُ قبَّل عارضيَّ واظنُّهُ كان باكيًا. امَّا انا فاقرّ لك اني ما كدتُ اضبط نفسي عن البكاء.

فتمهَّلنا قليلًا لتغالظ الرَّشاش حتَّى امكنني انا ومارسال من الخبو والزحف ان نبلغ خندقنا ونحن نسحب وراءنا أيوب فلمَّا وصلنا نظرنا اليهِ واذا بهِ جثّة هامدة..

فكم حزنتُ عليهِ وانا لا ازال كئيبًا كأني فقدتُ اخي!

ولكن دَعْني ابتِ اسألك قبل كلّ شيء. تلك الخطايا التي سمعتها ما اصنع بها؟ قلتُ: أيّاك ان تكشف سرَّها لبشرٍ ايًا كان

مآثر البابا بندكتوس الخامس عشر الى الشرق

للاب يوسف منجان اليسوعيّ معلّم اللاهوت في كليّة القديس يوسف

ليس من يجهل مآثر الاحبار الرومانيين الى الشرق. تلك خطَّة ألفوها منذ اوائل النصرانيَّة كما تشهد عليها احدق التواريخ. ولا غرو فانهم بذلك يقومون بامر سيّدهم الذي اودعهم رعاية الخراف الناطقة في الشرق كما في الغرب دون استثناء.

على انَّ هذه المآثر تلوح في البعض منهم اكثر من سواهم وقد اثبت الشرق شيئًا منها في عهد الحبرين الاعظمين السابقين لاون الثالث عشر وبيوس العاشر. ولم يَحِدْ عن هذه الخطّة إمام الاحبار الحاليّ فانَّهُ من اخصّ الاصدقاء الشرقيين عمومًا ومن اعطف الآباء نحو رؤساء وابناء الكنائس الشرقيَّة خصوصًا

وكان اهل الشرق الذين زاروا رومية العظمى لمّا كان المنسنيور لاكيازا في معيّة الكردينال دمبولا وزير الحضرة البابويّة يثنون على انسه بهم واصطناعه اليهم. فلمّا تبوّأ كرسيّ الخلافة الرسوليّة استبشر بارتقائه من عرفهُ من الشرقيين وأمّلوا من اختياره خيرًا والحقّ يقال ان بندكتوس الخامس عشر منذ نيف وخمس سنوات اظهر من الالطاف وآيات الحبّ نحو الشرقيين فوق ما أمّلوهُ من انعطافهِ الابويّ. وبياناً لذلك ها نحن نسرد هنا بعض ما وقفنا عليه من مآثره الجليلة ليتحقّق الشرقيّون انّ رومية لا تزال لهم مورد الآلاء والنعم السابغة كما هي موطن الايمان الثابت ومركز الوحدة الدينيّة ونذكر تلك الصنائع على حسب زمانها سنة فسنة

١ كان اوّل ما تولّى صنيعهُ البابا بندكتوس في الاسابيع الاولى بعد انتخابهِ لتدبير الكنيسة انهُ سعى بتلطيف الاحكام الشديدة التي اصدرتها الدولة العثمانيّة في حقّ المرسلين الى الشرق اذ حُبس البعض ونُفي البعض الآخر فأمكن الحبر الاعظم بواسطة نائبهِ في الاستانة ان ينال من جلالة السلطان محمّد الخامس رشاد ان يعاملوا باللطف ويسمح لهم بالرجوع الى اوطانهم وان يُرفق بالباقين من وطنيين او متجانّدين. ونال النعمة نفسها لبعض العلمانيين وخصوصاً لاساتذة مكتبنا الطبي

وليست هذه الكرامة الوحيدة التي حظي بها الحبر الاعظم من تركيّة بواسطة قاصدهِ الرسولي السيّد انجلو دُلشي لاسعاف الشرقيين فانّهُ ايضاً توسّط لدى الباب العالي سنة ١٩١٥ في ٢٤ و ٣١ ك ١ ثمّ سنة ١٩١٧ في ٤ أيار لتبليغ هباتهِ الى الاسرى والجرحى من الدول المتحاربة الذين كانوا معتقلين في الاستانة دفي مالبي فزارهم القاصد المذكور باسم الحبر الاعظم وسرّهم بما وزّع عليهم من الألطاف

وبواسطة الحبر الاعظم خلّى رؤساء الاتراك سبيل بعض الاسرى فأُعيدوا الى اوطانهم سالمين وذلك في اثناء سنة ١٩١٦. وفيها ايضاً رُوعي جانب قداستهِ بشأن قبور جنود الاتفاقيين الذين قُتلوا في الدردنيل فحُفظت مدافنهم بما تستحقّهُ من العناية والاكرام تلبيةً لدعوة الكرسيّ الرسوليّ

٢ ومن مآثر ابي المؤمنين شفقتهُ على الارمن لمّا بلغهُ سنة ١٩١٥ ما اصاب هؤلاء المنكودي الحظّ من القتل والنهب والسلب والنفي فدعا الاتراكَ الى الانصاف والرحمة فمنّوهُ بالمواعيد العرقوبيّة واذ لم يجد بينهم اذناً صاغية استعطف في سبيلهم

الامبراطور غليوم الثاني وحلفاءه فأصغوا عنهُ الآذان مدّعين انهم لا يريدون التداخل في امور الاتراك الداخلية . فلم يثبط ذلك عزمَ قداسته وسعى جهدهُ في جمع المساعدات وضروب الحسنات لتلطيف نكباتهم الى ان استمدّ أخيراً بالحاح ان يوضع حدٌّ لتلك المجازر الهائلة في مدّة الحرب . ثمّ انشأ ميتماً لأيتام الارمن في الاستانة

٣ وقد بذل قداسة الحبر الاعظم عنايتهُ الخصوصيّة نحو سكّان سوريّة ولبنان فكتب غير مرّة لرؤساء تركيّة ولحكّام البلاد ينشدهم الله بان يخفّفوا مصائب الحرب عن عواتق شعوبهم . وكان يحضّ نوّابهُ الرسوليين وقصّادهُ في اتخاذ كلّ الوسائل الممكنة لمساعدة ذوي الحاجات المتضوّرين جوعاً المنهوكين من الامراض . وكان يرسل عن يدهم المبالغ الطائلة ليوزّعها على المبؤوسين . ولمّا بلغ قداسة الحبر الاعظم انهُ قد حُكم على بعض الاساقفة والاعيان بالاعدام كتب بيدهِ الى السلطان فانقذهم من الموت . ثم حرّض قداستهُ ارباب الخير في آخر الحرب بفتح الاكتتابات لجمع الحسنات لاهل لبنان وكان اسمهُ في رأس المكتتبين بمبلغ ٢٠،٠٠٠ فرنك

٤ ومن نِعَم الكرسيّ الرسوليّ في كلّ هذه السنين نحو الشرقيين دون تمييز بين الملل والاديان التفاتهُ الخاصّ نحو الشعوب البلقانيّة من اهل سربية ورومانية واليونان وجبل الاسود اذ رأى سكّان تلك الجهات معرّضين للهلاك مُرغَمين على هجر منازلهم والفرار الى الجبال حيث يهلكون برداً وجوعاً . فبذل قداستهُ اقصى الجدّ في تليين اوجاعهم ونال من النمسة ان تسمح بان يُنقل اليهم اسباب المعاش دون مصادرتها وان تُعطى لهم الاسعافات الماليّة

ونضيف الى ذلك توسّطهُ لدى امبراطور النمسا لكي يبدل القضاء بالاعدام على الصحافي الروسيّ ديمتريوس دي يننشفسكي المحكوم عليه لاجل خيانة فظيعة واثم الجاسوسيّة فعفا عنهُ الامبراطور وعن سبعة آخرين مثلهُ سنة ١٩١٦

٥ على انّ هذه الالطاف ماديّة كلّها اذا كان قداسة البابا ليذهل عمّا هو افضل منها فكان همّهُ العظيم خلاص النفوس فارسل الى جهات الاناضول وما بين النهرين كهنة لينوبوا عن المرسلين في خدمة المسيحيّين

ولمّا منحت روسيّة في اوائل الحرب حرّية الاديان لرعاياها بادر البابا بندكتوس وارسل الى الكاثوليك كهنةً يُعنون بامرهم . وهكذا فعل بسربيّة بعد ان عقد وزراؤها معاهدة مع الكرسيّ الرسولي

٦ ومن اعمال الحبر الاعظم الدالّة على حنوّه واهتمامه بالارواح التي امكنه تنفيذها رحمةً بالاسرى وتأييداً لشوائرهم الدينية ما ناله من كل الدول المتحاربة الغربيّة والشرقيّة ان يُعفى الاسرى يوم الاحد من الاشغال البدنيّة ومن جملتها روسيّة التي لبّت طلبتهُ في ٢٥ ك ١ ١٩١٥ وكانت تركيّة سبقتها في ١٨ ايلول فاعلمت قداسة البابا انها ستعافي الاسرى عندها من الاشغال يوم الاحد عوضاً عن يوم الجمعة الذي كان يستريح فيه هؤلاء التعساء . وما ذلك الّا تلبيّ رغبة الحبر الاعظم في تعيين يوم الاحد للبطالة وقيام الاسرى بفروضهم الدينيّة

٧ وقد عمّ الحبر الاعظم بنضله كلّ الشرقيين اذ صرّح لهم بأحد مناشيره ان الغفرانات الممنوحة الى اليوم وتمنح فيا بعد للمؤمنين يتساوى فيها الشرقيّون والغربيّون مماً يمكنهم جميعاً ان يربحوها لخلاص نفوسهم ونفوس المتنيّحين بالرب اذا وفوا بالشروط المتعلّقة بها وكان ذلك في المرسوم المؤرخ في ٧ تموز ١٩١٧

وكان حنان قلبه على الشرقيين المنفصلين قد دفعهُ قبل ذلك في ١٥ نيسان ١٩١٦ الى نشر الصلاة الآتية التي ناط بها غفران ٣٠٠ يوم لمن يتلوها مرّةً وغفراناً كاملًا في الشهر لتاليها كلّ يوم . وهاك تعريبها :

ايها الرب الذي جمعتَ الامم المختلفة في الايمان باسمك . اننا ندعوك لاجل الملل المسيحيّة في الشرق . فبينا نحن نذكر المقام الرفيع الذي نالوهُ في كنيستك نتوسّل اليك ان تلهمهم الرغبة في العَود الى ذلك المقام ليؤلّفوا معنا رعيّةً واحدة تحت رئاسة راعٍ واحد . امنحهم ان يدركوا سواءً مثلنا تعاليم معلّميهم القديسين الذين هم ايضاً آباؤنا في الايمان . صُنهم من كلّ ضلال من شأنه ان يبعدهم عنّا . فليقرِّب روح الوئام والمحبة الذي هو دليل وجودك بين المؤمنين ذلك اليوم الذي فيهِ تتّحد صلواتنا مع صلواتهم لكي يعرف ويمجّد كلّ شعب ولسان سيّدنا يسوع المسيح ابنك الوحيد . امين

٨ وحبّ الاب الاقدس نحو الشرقيين قد حملهُ كالاحبار السابقين وبالاخص لاون الثالث عشر على تكرار الوصاية والتشديد في حفظ طقوسهم مصونةً من كلّ تبديل وتصرّف تحت طائلة العقوبات الكنسيّة . وقد كتب في ٢٧ آذار سنة ١٩١٦

الى جالية الروتان في اميركا الجنوبيّة يحرّضهم على صيانة طقسهم اليوناني الروتاني ويدقق لهم القوانين ليعلمهم كيف يتصرّفون مع ذوي الطقس اللاتيني في غربتهم

٩ وقد اتى إمام الاحبار بما هو فوق ذلك شأناً في رقيمه الصادر في غرّة أيار سنة ١٩١٧ حيث اعلن بانشاء مجمع خصوصيّ للعناية بامور الكنائس الشرقيّة · وقد وضع ذلك المجمع رأساً تحت نظارة الحبر الروماني يترأس جلساته بنفسه لتبقى حقوق الشرقيين وتقاليدهم سليمةً مصونة وتعزّز شؤونها في المستقبل · فعلى هذا المجمع تُعرض كلّ الابحاث الخاصّة بامور الكنائس الشرقيّة وآدابها ومشاكلها المختلفة سواء كانت بين ابناء كنائس الشرق ام بينهم وبين تَبَعة الكنيسة الغربيّة

١٠ وقد لاح عطف ابي المؤمنين على الشرقيين باجلى بيان لمّا اصدر في ١٠ تشرين الاوّل ١٩١٧ حكمة السامي في انشاء معهد بابويّ دعا اليه اللاتينيين والشرقيين حتى المنفصلين منهم عن الكنيسة الرومانيّة ليتلقّوا فيه علوم الشرق المسيحي نظريّةً كانت او ادبيّة وقد خصّ لذلك مكتبةً واسعة واقام للمعهد اساتذة من الاختصاصيين الغربيين والشرقيين ليلقوا دروسهم على الوافدين اليهم من كهنة عالميين او رهبان ولاسيّما من المرسلين الى الشرق ليكونوا على بصيرة من احوال الشرقيين وتعاليمهم وتآليف كتبتهم فيزول بذلك كلّ سوء فهم بين الكنيستين وتتقرّب القلوب الى الوحدة · وقد جعل بندكتوس الخامس عشر هذا المعهد تحت كنفه واستبقى رئاسته لنفسه وللاحبار خلفائه · وقد اطّلعنا على لائحة دروس هذا المعهد فرأيناها وافية بالمرام لم يبرح من ذهن واضعها شيء· ممّا يرغبهُ علماء الكنيستين من دروس لاهوتيّة وتاريخ الكنائس الشرقيّة وتعليم الآباء الشرقيين وتعريف الطقوس الشرقيّة وحق الشرقيين القانوني والدنيّ والآداب الشرقيّة وآثار الشرق القديمة الدينيّة ولاسيّما البوزنطيّة وجغرافية الشرق المسيحيّ مع تلقين لغات الكنائس الشرقيّة اي اليونانيّة والروسيّة والسريانيّة والكلدانيّة والعربيّة والقبطيّة والارمنيّة والحبشيّة والكرجيّة

١١ ونختم هذا النظر الاجمالي في اعمال الحبر الاعظم بعد الحرب بذكر مساعيه المستطابة في نجاة الاماكن المقدّسة في فلسطين من كلّ أذى وقلّة اعتبار بتسليم تلك الآثار الجليلة الى من لا حقّ لهم فيها · وقد احتجّ قداستهُ على ما بلغهُ

من صنع بعض اناس غرباء من الشيع البروتستانيّة « الذين يتهزون بما ابيهم من غزير المساعدة والوسائل فرصة ما احدثتهُ الحرب في فلسطين من عظيم الشقاء والخراب لكي يبثّوا هنالك تعاليمهم » ولذلك خصص البابا مبلغاً معلوماً لتعزيز الكاثوليك والرسالات المقدّسة والمعابد والمدارس واستنهض همّة اساقفة العالم الكاثوليكي على الاهتمام بهذا الامر الخطير

فمن هذه الخلاصة يتضح ما للاب الاقدس بندكتوس الخامس عشر من الايادي البيض في سبيل الشرقيين ويلوح انهُ كان حقيقةً كما قال السيّد اثميا باپادوپولس في خطاب وجّههُ لقداسة الحبر الاعظم في ١٦ آذار ١٩١٩ :

« ابا عاماً لكلّ المسيحيين الشرقيين والغربيين والراعي الاسمى لرعيّة المسيح والقائد والساعد وحجر الزاوية لصرح الكنيسة العجيب ... به ظهرت جديداً لدى اعين الاخوة المنفصلين قوّة البابويّة الادبية المؤسسة على الابوّة الالهية فوق كلّ قوّة أخرى سواها »

فعسى ارباب الكنائس الشرقيّة يُرعون سمعهم هذا الصوت الابويّ فيعزّون قلب راعي الكنيسة بضمّ قواهم الى قوى اخوتهم » ليكونوا كما قال الربّ مكمّلين بالوحدة »

الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية

في القرنين السادس عشر والسابع عشر

للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

سفارة الاب ايليانو الثانية الى الموارنة ١٥٨٠—١٥٨٢

ما وقف الاب جوان باطشتا اليانو على نيّة الحبر الاعظم غريغوريوس الثالث عشر بخصوص سفارة ثانية الى لبنان حتّى اخذ يستعدّ لها استعداداً تامّاً ليجتني منها الكرسيّ الرسولي الثمار الطيّبة التي يشتهيها لمجد الله وخير الكنيسة . وعيّن لهُ الرئيس العام الاب اڤرارد مركوريان كرفيق لهذه الرحلة الاب يوحنّا برونو (G. Battista Bruno

الذي يدعوهُ الدويهي في تاريخهِ (ص ١٧٧) «جوان بروناه». وكان هذا الرجل ورعاً واسع الفضل ضليعاً بالعلوم اللاهوتية

فسُرَّ به السفير البابوي ورأى معهُ ان امسّ حاجة ينبغي التفرُّغ لها قبل سفرهما الاهتمام بطبع بعض التآليف في العربية ينشرانها في لبنان اصيانة اهله من اضاليل الامم المجاورة لهم وتعزيزاً للايمان الكاثوليكي في قلوبهم

غير انَّ طبع الكتب كان يقتضي تجهيز مطبعة وحفر حروف جديدة عربية وسريانية. فاتَّفق الاب اليانو مع طبَّاع روماني اسمهُ غريغوريوس لوتكا(Gr. Lutcha) ثم استدعيا رجلًا حاذقاً يُحسن حفر الأمّات يدعى غرانيار (Granier) فتفرَّغ لهذا العمل وبعد اسابيع قليلة أحضر المطلوب فصُبَّت حروف كافية لطبع عدَّة كتب والمرجح ان تلك المطبعة لم تجهَّز في المدرسة الرومانية بل بقيت في عهد الطبَّاع لوتكا. واخبارها مفقودة اليوم

واول ما نشرهُ الاب اليانو بطبع التعليم المسيحي الشهير الذي صنَّفهُ القديس بطرس كانيزيوس اليسوعي فعرَّبهُ واضاف اليهِ ملحقاً دحض فيه اخصّ الاضاليل الفاشية في الشرق ثمَّ طبعهُ باحرف الكرشوني في نيسان من السنة ١٥٨٠ وأُضحى هذا الكتاب نادرة جدا لا يُعرف منهُ سوى نسخة مصونة في مكتبة فريبورغ من اعمال سويسرة. ففي الصفحة الاولى صورة المصلوب على الجلجلة مع هذا العنوان بحرفهِ :

« التعليم المسيحي على جاري عادة كنيسة رومية الذي يلزم علمها وحفظها لكل المؤمنين بالمسيح وهي على صفة السؤال والجواب في لسان العربي (sic) المختومة بمدينة رومية بامر السيد فافا غريغوريوس الثالث عشر في يوم السابع من شهر نيسان سنة ١٥٨٠ مسيحية »

وعلى الهامش باللاتينية بخط احد السيَّاح المسمَّى سبستيان فارون كان اهداهُ الاب اليانو هذه النسخة في سورية سنة ١٥٨١ :

Catechismus Arabicus Chaldaïco charactere per R. P. Joannem Babtistam Societatis Jesu Apostolicum in Phœnicia conscriptus, et mihi Sebastiano Werron ab Authore in Syria dono datus. 1581

وفي الصفحة الثانية صورة السيد المسيح يقلّد بطرس رئاسة كنيسته وتحت الصورة آية متى (ف ١٦) : انت الصخرة وعلى هذه الصخرة ابني بيعتي . .

ومما طبعهُ ايضاً بعد تعريبهِ كتابُ المكرَّم لويس الغرناطيّ في سرّي التوبة والقربان وكذلك عرَّب وطبع قوانين المجمع التريدنتيني وجدَّد طبع اعتقاد الامانة الارثذكسية الذي كان عرَّبهِ سابقاً سنة ١٥٦٦ كما روينا

وذكر الاب سكيني في تاريخ الرهبانية اليسوعية انَّ الاب اليانو طبع كتباً اخرى معرَّبة بقلمهِ منها التعليم الروماني الذي كان ألَّفهُ الاب اليسوعيّ فرنسيس توريانو (Fr. Turiano) ثم كتاباً في تفنيد اضاليل اليعاقبة والنساطرة (ولعلَّهما الكتابان السابق ذكرهما) ثمَّ كتاب الاقتداء بالمسيح وصلوات القدّاس اللاتيني . وكلّ هذه التآليف اصبحت اليوم اعزّ من بيضة الديك . وكنّا أمّلنا ان نجد منها نسخةً في دير سيدة قنُّوبين في رحلتنا اليهِ في اوائل تشرين الاوّل من السنة ١٩١٤ . فلم يتحقَّق املنا

وكان الاب يوحنا برونو يساعد الاب اليانو في نشر تلك المطبوعات ويهتمّ بتنظيم الموادّ التي ينبغي البحث عنها في المجمع المنويّ عقدهُ في لبنان

اما الكردينال كرافا محامي الطائفة المارونية فاخذ يسعى في امر درع الرئاسة لدى الحبر الاعظم ليرسلهُ للسيّد البطريرك ميخائيل الرزّي اذ لم يَنَلْهُ بعدُ مع كونهِ بطريركاً منذ ١٣ سنة . وكان يحول دون منحهِ ايّاهُ ما رواهُ الدويهي في تاريخهِ (ص ١٧١ و ٤٣٩ — ٤٤١) عن شكايات قدَّمها بعض اهل قبرس الى الكرسي الرسوليّ يتهمونهُ بها عن صحّة ايمانهِ . فاحبَّ الحبر الروماني ان يتَّضح الامر جليّاً . وزاد ارتياب الكرادلة لمّا عرفوا ما تضمَّنهُ الانجيل المخطوط بيد البطريرك من النصوص غير السديدة فأبى بعض امراء الكنيسة الاجابة الى طلبته لكنَّ الاب اليانو أكّد لهم حسن نيّة البطريرك وشهد عن تقاهُ ورضاهُ التامّ بتعاليم الكنيسة الرومانية مع استعداد جميع رؤساء الطائفة واساقفتها لقبول اوامر الكرسيّ الرسوليّ . فازالت هذه الشهادة الحيّة كلّ ريب من عقل البابا والكرادلة الفاحصين واسرع الحبر الاعظم في تقليد البطريرك الدرع المقدَّس المرموز بهِ الى سلطانهِ على كنيستهِ وسلَّمهُ الى الاب اليانو ليبلغهُ الى غبطة البطريرك بعد تجديدهِ امامهُ تأدية الطاعة للحبر الروماني

وكذلك اهتمَّ الكردينال كرافًا بتهيئة ٣٠٠ كاس مع عدد وافر من الحُلل البيعية للاساقفة والكهنة ومن قوالب البرشان اودعها جميعاً عدَّة صناديق لتوزَّع في لبنان على الاكليروس الماروني

فكل هذه الاشغال لم يمكن الابوين ان ينجزاها الاَّ في اواسط الربيع من السنة ١٥٨٠ فصمَّما حينئذٍ العزم على السفر في العشر الثاني من شهر أيار. واراد الاب الاقدس ان يؤازرهما بتعليمات واسعة لتتمَّ تلك السفارة على احسن منوال فتتوثَّق ثانياً عرى الاتحاد بين بني مارون ومركز الوحدة الكاثوليكيَّة

وقد حرَّر تلك التعليمات الكردينالان انطون كرافًا وديّ سان سفرينو (C^{al}. San Severino) باسم الحبر الاعظم وهذه التعليمات مصونة حتَّى اليوم في سجلّات الرهبانيَّة اليسوعيَّة وقد نشر منها المرحوم الاب انطون رُبَّاط ما سطَّره الكردينال كرافًا فاثبتهُ بنصّهِ الطلياني في المجلَّد الاوَّل من كتابه المدون بالآثار الخطيَّة عن تاريخ الكنائس الشرقيَّة (ص ١٢٨ – ١٥١) وهي تتألَّف من ١٩ بندًا يوصي فيها الكردينال الابوين اليسوعيين بان يتفقَّدا شؤون الطائفة في ايمانها وطقوسها وآثارها الكتابيَّة وعاداتها في جميع انحاء لبنان ويدوّنا كلَّ ملحوظاتها بالتدقيق وان يقلّدا الدرع المقدَّس غبطة البطريرك بعد استثباتهما لصحة ايمانه وطاعته للكرسيّ الرسولي وان يجتهدا في ان يصلحا بينهُ وبين الاساقفة الخارجين عن طاعته بعد تأديتهم الخضوع لرئيس كنيستهم. وتاريخ هذه الوصيَّة في ٧ أيار ١٥٨٠

امَّا وصاة الكردينال سان سفرينو فتاريخ كتابتها في ١٠ أيار ضمَّنها رغوبات الحبر الاعظم بخصوص هذه السفارة فيقول للابوين ان البابا بارسالهما الى الشرق لا يقصر نظرهُ على الموارنة فقط بل يريد ان يسما بردّ كل الطوائف الشرقيَّة الى حجر الكنيسة ومن ثمَّ ينبغي عليهما ان يجتمعا برؤساء تلك الطوائف من ارمن وروم ويعاقبة وكلدان واقباط ليعرضا عليهم الاتحاد مع الكنيسة الرومانيَّة بنبذ التعاليم الباطلة التي زرعها في قلوبهم عدوُّ الله – ثمَّ يحرّضاهم على انتخاب بعض الاولاد الاذكياء يرسلانهم الى رومية ليتهذَّبوا فيها ثمَّ يعودوا الى مواطنهم فينشروا بين ذويهم المعتقدات الصالحة. ومن وصايا الكردينال ان يبحث الابوان عن الآثار الكنسيَّة

مطبوعات شرقية جديدة

رسالة قلب يسوع

يسرُّنا ان نبشر اهل الصلاح وارباب العيال والمدارس المسيحيَّة بصدور هذه المجلَّة التقويَّة التي غايتها ان تبعث في النفوس روح الدين وترفع القلوب عن دنايا هذه الحياة الى محبَّة خالقها بنشر عبادة ذلك القلب الذي احبَّ العالم الى الغاية (يوحنَّا ١٣ : ١) فبذل نفسهُ دونهم وفتح لهم كنوزهُ بطعن حربة الجندي جنبهُ على الصليب . وهذه الرسالة هي الخامسة والاربعون من جنسها تصدر في انحاء المعمور حتى في الصين والهند وجزائر اوقيانية بنيّف وعشرين لغةً . فأملنا ان يصير لهُ رواج كبير في اقطارنا ايضاً . ومن اراد الاطّلاع على احوال الرسالة وشروط الاشتراك بها فليخابر حضرة مدير مطبعتنا الكاثوليكيَّة او مدير الرسالة . ويمكن الاشتراك بها في كلّ اديرة الآباء اليسوعيين وراهبات قلب يسوع ومريم ل . ش

تذكار المئة الاولى

لانبعاث الرهبانيَّة اليسوعيَّة (١٨١٤ – ١٩١٤)

بقلم الابوين لويس رتزفال ولويس شيخو اليسوعيين

في مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت ١٩١٩ (ص ٥٣)

هذا مجموع اربع مقالات صدرت في المشرق سنة ١٩١٤ بنسبة العيد المئوي الذي احتفلت به الرهبانيَّة اليسوعيَّة في اربعة اقطار العالم ذكرًا لرجوعها الى الحياة بقوة منشور الحبر الاعظم بيوس السابع سنة ١٨١٤ بعد ان بقيت اربعين سنة مدفونة كالسيّد المسيح سيّدها في قبرها حيث طمرها فيه اعداؤُها الفرمسون وجَحَدة الدين والفلاسفة المزعومون كفولتير وديدرو وبيال وشوازول ومن كان على شاكلتهم ليصفو لهم الجوّ بموتها لمحاربة كنيسة الله . فخابت آمالهم ورجعت الرهبانيَّة الى مقامها وعزّها وهذه المجموعة تثبت خلاصة اعمالها في خدمة الدين والهيئة الاجتماعيَّة مع وصف

رسالاتها الاجنبيّة في القرن السابق · وفي آخرها اثرٌ عربيٌّ بخصوصها اوقفنا عليه بعض افاضل رهبان دير الشير وهو تعريب رسالة البابا اكليمنضوس الثالث عشر الذي قبل الثانها بثماني سنوات اثنى على كل اعمالها وزكّى اعضاءها من التهم الباطلة في حقّها وحدّد تثبيت رسومها وقوانينها

النصرانيّة وآدابها بين عرب الجاهليّة

الجزء الاوّل من القسم الثاني في الآداب النصرانيّة في عهد الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

طبع في مطبعة اليسوعيين في بيروت سنة ١٩١٩ (ص ١٥٠)

بعد ذكرنا في القسم الاوّل من هذا الكتاب تاريخ النصرانية في كل انحاء جزيرة العرب وبين قبائل عديدة في عهد الجاهليّة خصصنا هـذا القسم بآداب النصرانيّة في ذلك العهد فبيّنا في خمسة فصول اوّلاً انتشار الكتابة العربيّة بين العرب على يد النصارى · ثمَّ انتقلنا ثانياً الى المفردات اللغويّة التي تدلّ على نفوذ النصرانيّة في لغة العرب استناداً الى شعراء الجاهليّـة · وهذه المفردات تشمل اثني عشر باباً · وفي الفصل الثالث ذكرنا اعلام النصرانيّة الشائعة بين عرب الجاهليّة ممّا يدلّ على شيوع هذا الدين ما بينهم ثمَّ اوردنا في الفصـل الرابع اقوال قدماء الشعراء المحتوية على احداث العهدين العتيق والجديد · وختمنا هذا الجزء بفصل خامس يحتوي امثـال العرب المنقولة من الاسفار المقدسة من العهدين العتيق والحديث · وقد بقي جزء ثانٍ لهذا القسم من الكتاب ننشرهُ ان شاء الله تباعاً في المشرق فيتمّ به ما قصدناهُ من اثبات نصرانيّة كثيرين من شعراء الجاهليّة وعلى الله التّكل ل · ش

القصارى في نكبات النصارى

بقلم شاهد عيان سنة ١٩١٩ (ص ٥٠٦)

من احبَّ ان يطّلع على ما ينتجهُ القلب البشري من الارجاس والفظـائع الوحشيّة اذا ما استـلم لاهوائهِ واطلق العنان لشهواتهِ عليـهِ بمطالعة هذا الكتاب الذي صوَّر فيهِ شاهد عيان ما جرى من القبائح على يد الاتراك والاكراد والشركس في ما بين النهرين في ديار بكر وماردين ورأس العـين وطور عابدين وجزيرة بني

عمر وسمرت وكلّ القوى التي بينها في أيّام الحرب الاخيرة · فإنه الله كلّ ما قرأناه من الفواحش التي ارتكبها اشقيا، هذا العالم في عهد الظلم متفرّقة نجدها هنا مجموعة في وقت واحد على يد ايالة متقمّصين بجسم بشريّ · فياليت هـذا الكتاب يُنقل الى كلّ اللغات ليقف ارباب الاحكام على مساوئ دولة خشعت على كيانها بالخزي والعار ويتحقّقوا ما على الالمانية ناصرة تركية من المسئولية في سماحها بهـذه المخازي التي يندى لها الجبين خجلًا ويمجّدوا تلك النفوس البارّة التي ذاقت كؤوس الموت الزؤام بشهامة تذكّر عهد النصرانيّة الاوّل ل · ش

البرهان الصريح في الدين الصحيح

للخوري يوسف داغر التنّوري (طُبع في المطبعة اللبنانيّة جسر نهر بيروت سنة ١٩١٤ ص٤٢٤)

كان هذا الكتاب قد نجز قبل الحرب بزمن قليل فلم يستطع مؤلّفهُ الفاضل ان ينشره لما حصل وقتئذٍ من الهرج والمرج · وهو من امتع الكتب الدينيّة التي طُبعت الى يومنا بالعربية مع كثرة ما نُشر من جنسه في اللغات الاوربيّة · مداره على الدفاع عن امور الدين الكاثوليكيّ في اخصّ معتقداته مباشرةً بوجود الله ثمّ وحدانيّته وكمالاته يليها فصول في الانسان وخواصّ نفسه ثمّ في وحيه تعالى واسراره من تثليث الاقانيم وتجسّد الله الكلمة ولاهوت المسيح وطبيعتيه ثم في صحّة دينه وكنيسته الحقيقيّة وعلاماتها بازاء بقيّة المذاهب وفي الخوم ابواب متفرّقة من بعض الاشاعات الباطلة التي يتناقلها اعداء الكنيسة مع تفنيدهـا كمحكمة التفتيش ودعوى غليلاي ومذبحة القديس برتلماوس والحروب الصليبيّة وكلّ ذلك ببراهين جليّة قريبة الى الفهم يصلح الالتجاء اليها لتفنيد مزاعم بعض المتفلسفين الذين يردّدون كالببغاء تلك الاعتراضات دون ان يفرزوا غثّها من سمينها · فنتمنّى انتشار هذا الكتاب مع زيادة في تحسين بعض ابوابه في طبعة ثانية

كتاب الياس جرجس طراد: آلهُ سيرتهُ مآثرهُ

جمع جرجي نقولا باز (مطبعة جدعون بيروت سنة ١٩١٤ ص ٢٠٠)

نجز هذا الكتاب قبل اعلان الحرب بأيّام فلم يمكنّا وصفهُ اقرانا · الياس

جرجس طراد احد ادباء بيروت المعدودين من اسرة فاضلة اشتهر منها كثيرون بخدمة العلم والوطن وليس صاحب الترجمة دونهم شهرةً كما يلوح من مآثرهِ العديدة نثرًا ونظماً في كل ابواب الكتابة مما عُني صاحب مجلة الحسناء الاديب بجمعهِ وترتيبهِ فجاء كتاباً واسعاً يستطيب القرّاء مطالعتهُ الكثيرة فوائدهِ. ويظهر من بعض رسائل صاحب الترجمة (ص ١٢٨) انهُ كان ماسونياً وخطيباً في محفل لبنان ولعلهُ احد الذين انخدعوا بظاهر الماسونيّة وتمويهاتها (كما بيّنّا في كتابنا السر المكنون في شيعة الفرمسون) سامحهُ الله. ومما يدلّ على حسن طويّتهِ وتقديرهِ للرجال حقّ قدرهم مع اختلاف طوائفهم كتابان لتهنئة البطريرك الماروني سنة ١٩٠٥ عند قدومهِ من رحلتهِ الى اوربّة (ص ١٢٢) ولتهنئة بطريرك السريان سنة ١٩١٢ في عيدهِ الفضّي (ص١٢٣). مع خطب وقصائد ومقاطيع وتواريخ جامعة بين فصيح اللفظ وبليغ المعاني

ل. ش

الساق على الساق ما هو الفارياق

طبعة مستحدثة في مصر

بئس ما صنع الذي اخرج هذا الكتاب من زبلهِ وفيهِ ما فيهِ من روح الزندقة والفجور. ولا يشفع بصاحبهِ احمد (فارس) الشدياق ما اودعهُ من المفردات اللغويّة والمرادفات. ولولا ما اخبرَنا الثقة عن رجوعهِ الى ايمانهِ الكاثوليكي قبل وفاتهِ لقبّحنا سيرتهُ وتقلّبهُ من المارونيّة الى البروتستانيّة الى الاسلام لغايات بشريّة ذكرها اصحابهُ فضلًا عن اعدائهِ (راجع كتابنا الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر ٢: ٧٩ — ٨١)

لبنان

مباحث علميّة واجتماعيّة عُني بنشرها لجنة من الادبا

المطبعة الادبيّة. بيروت سنة ١٣٣٦ (ص ٥٧٥)

هذه احدى المآثر النادرة التي صدرت في أيام الحرب بمساعي اسماعيل حقّي بك قبل انتقالهِ من متصرفيّة جبل لبنان الى ولاية بيروت في سنة الحرب الاخيرة. والفضل في اخراجهِ العمل الى حيز الوجود يعود خصوصاً الى صاحب الهمّة والذكاء

حسين كاظم بك والي سالونيك سابقاً . فهذا الرجل الفريد اخذ على نفسهِ ان ينتخب رجالاً ذوي علم ومقدرة امكنهُ بواسطتهم ان ينشر امتع كتاب وُضع حتى الآن عن لبنان في جغرافية الجبل (١ــ ٢٩) وجيولوجيتهِ (٧٠) ونباتهِ (٧٦) وحيوانهِ (٧٩) ومناخهِ (٩٥) وآثارهِ القديمة (١٠٤) واخلاق اهلهِ وعاداتهم (١٣١) وعناصرهم واديانهم (١٨١) ثم لمحة في تاريخ لبنان (٢٢٠) وزراعتهِ (٣٠٥) وصناعتهِ (٣٥٨) واحواله التجاريّة والاقتصاديّة (٣٧٥) وعلوم اهلهِ وآدابهم (٤٥٨) وكل دوائرهِ الاداريّة من معارف ونافعة وماليّة وقضاء وصحّة (٤٨٨) وفي آخرها قائمة اخصّ المؤلفات التي استند اليها محرّرو مقالات لبنان مع فهارس واسعة لموادّ الكتابة وتصاويرهِ ورسومه وفي آخرها خارطة متصرّفية جبل لبنان بطول ٢٤ سنتمتراً وعرض ٤٠ وبمقياس ١/٢٠٠٠٠٠ فنثني على كلّ من آزر آباء رهبانيتنا على انجاز هذا التأليف الجليل جازاهم الله خيراً

ل . ش .

شذرات

خلاص الوطن على يد بطريركين انطاكيين ورد في ترجمة القديس يوحنا فم الذهب انّ الامبراطور ثاودوسيوس غضب على اهل انطاكية فحكم على مدينتهم بالخراب لكن بطريركهم الشيخ الجليل القديس فلابيانوس اسرع فتدارك الامر وابحر الى القسطنطينية في أبان الزمهرير رغماً عن هياج البحر فتمكّن بحسن تصرّفه وبلاغتهِ من تخميد غضب الملك ونجاة حاضرة الشرق

فهذه الرواية قد تكرّر دورها في هذه الاشهر الاخيرة لمّا حاول بطريرك آخر على انطاكية الشيخ الجليل غبطة البطريرك مار الياس الحويك ان يردّ لوطنهِ حرّيته المسلوبة ويمتّعهُ بالاستقلال فسافر مثل سلفهِ بحراً دون ان يبالي بالاخطار واتعاب الاسفار وهيجان الابحار ولم يدّخر وسعهُ ويألُ جهدهُ حتّى ظفر بمرامهِ وعاد الى الوطن يبشرهُ بالفوز الاكيد والنصر القريب لا زال اسمهُ مخلّداً في قلوب اللبنانيين الى الابد

الأنصاب في فلسطين — في غربي بلاد فلسطين انصاب عديدة من الحجارة العادية الضخمة بعضها منتصبة وبعضها معترضة على احجار غيرها · ومثّن درسها في المدّات الاخيرة العلّامة مادر (P. D. Mader) في المجلة الفلسطينية الالمانية (ZDPV, 1914, p. 20-44) فاثبت صورها وبيّن انّ عددها اوفر ممّا كان يُظنّ امّا اصلها فقد رقاهُ الى عهد الكنعانيين في طور القرآن قبل طور الحديد كالابنية التي استخرجوها بالحفريات الاخيرة في تلك الجهات · وعلى رأي السيو مادر انها ليست مذابح دينية كما زعم العلماء سابقاً وانما هي صفائح مدفنية اقيمت تذكاراً للموتى

اثبات العاديات لصحة الكتاب المقدس — هذا عنوان مقالة واسعة لاحد كبار العلماء السيو برتون (G. Barton : J. Bib. Lit., 1913. pp. 241-260) الذي نقض مزاعم بعض الملحدين المدّعين ان العاديات المكتشفة آخراً تنافي صحة الكتب المنزلة واثبت انها على خلاف ذلك من اجلى الادلة على صدق الاسفار المقدّسة وانّ الذين اتخذوها كسهام لرشق الدين أعربوا عن سوء فهمهم لكلام الله

أثر ديني مصري في لبنان — ممّا نشره حضرة الاب سبستيان رونزفال في مجموعة المكتب الشرقي (Mél. Fac. Or., V, 2, p. 63-72) نظرٌ في اثر ديني وُجد في لبنان في قرية « فيّ » فنُقل الى متحف الاستانة · وهذا الاثر عبارة عن كفاف مربّع تالٍ في صخر يمثّل تورّين قائمين بإزاء شجرة · وفوق صورتها يُرى شخص لابس رداء سورياً بنطاق وهو ساجد لآلهة على زي الإلهة هاتور المصرية المعروفة بشكل زينة رأسها وتُرى جالسةً على عرش مرتفع بجملة من جانبيه شكل انسان ينتهي برأس كرأس ابي الهول · وهذا الاثر راجع الى عهد الدولة الفارسية ويبيّن ما كان من النفوذ للدين المصري في سورية · وامثاله المعروفة قليلة جداً

الآثار المصنوعة في سورية — كتب سابقاً حضرة الاب لويس جلابرت (في المشرق ٩ (١٩٠٧): ٩٧: ١١٧) مقالتين مستجادتين شرح فيها ما بلغ اليه طمع بعض المزوّرين في الشام خصوصاً فاصطنعوا آثاراً نقلوها من عاديات اخرى

صحيحة مع بعض تغيير في صورتها خدعوا بها الاجانب . وقد عاد غيرهم في هذه الذات الاخيرة الى هذه الاعمال الذميمة فوضع احد علماء فرنسة الاثريين المسيو هيرون دي ڤيلفوس (A. Héron de Villefosse) فصلاً لطيفاً استوقف فيه انظار رصفائه العلماء الى هذه المصنوعات وذكر كثيراً منها مما وجده في ايدي المزوّرين فاشار الى تزويرها وغشّ مصطنعيها ودلّ على العاديّات الاصلية التي تقلّدوها في مجلّة شركة الاثريين الفرنسويين (B. Soc. Ant. Fr., 1913, pp. 330-335)

مساعي جديدة في حلّ سرّ الكتابات الحثيّة — يعلم الناس كم هي عديدة الكتابات الحثيّة المكتشفة في بلادنا لاسيما في جهات حمص وحماة وشمالي سوريّة الى نواحي الفرات حيث كانت عاصمتهم قرقيش وفي انحاء قيليقية الى برّ الاناضول. فهناك كانت دولة عظيمة اشتهرت بتاريخها وآثارها في القرون السابقة للقرن السابع قبل المسيح الى القرن العشرين قبله . على ان العلماء لسوء الطالع لم يقدروا حتى الان ان يفكّوا ألغاز تلك الكتابات اذ لم يقفوا على كتابة منها في لغة غيرها يستدلّون بها عليها . وقد امتحن كثيرون من العلماء كجانسن وساس (Sayce) طرقاً شتّى لكشف مبهماتها ولعلّهم اصابوا في تعريف بعض اشكالها . وممّن حاولوا تفسير تلك الكتابات سنة ١٩١٣ العلّامة تومبسن (R. C. Tompson) في مجلة الآثار (Archæologia, 1913, 1-144) فكتب هناك مقالة ضافية اثبت فيها اكتشافهُ لبعض علامات دالّة على اعلام مكانيّة اخصّها علَم مدينة قرقيش فلحظ ان هجاءها الاوّل تعود صورتهُ في الفاظ متعددة سواء كان في اوّل الكلمة او في آخرها ولم يزل يجري على طريق المقابلة لتلك الاحرف التصويريّة حتى امكنهُ ان يصنع جدولاً ضمّنهُ ١٢٧ علامة مع الدلالة على معانيها وقد استنتج من ابحاثه انّ اللغة الحثية هي لغة هندو جرمانيّة كالارمنية والفارسية واللغات الاوربية القديمة

ثم أفاد بعد ذلك العلّامة ساس انّ متحف العاديّات في برلين حصل في السنة ١٩١٤ (Exp. Times, XXV, 1914, p. 520) على بعض الواح مكتوبة بالقلم المسماري وُجدت في بوغاز كوى وبينها قطع تتضمّن مجموع الفاظ في ثلث لغات اي السومريّة والاشوريّة والحثية . وهناك مفتاح للحثيين يصوّر لهم لفظ المفردات السومريّة والاشوريّة به يستطيع العلماء ان يقفوا على قراءة القلم الحثيّ . وقد اخذ المسيو ساس

يستعين بهذا الدليل لكشف مبهمات ذلك اللسان الذي كادوا ييأسون من ادراك اسراره . ومما قرَّره بناء على ذلك انَّ اللغة الحثية ليست لغة هندو جرمانية كما زعم تومسون وغيره وانما هي من اللغات القوقازيَّة . فالامل وطيد باننا ندرك عمَّا قليل معاني تلك الكتابات المديدة المتضمنة قسماً كبيراً من تاريخ بلادنا في عهد الدولتين المصريَّة والبابلية

المرصد الفاتيكاني — يعلم قرَّاؤنا كم يطنطن اعداء الكنيسة باسم غليلاي وحرمه من المجمع المقدس كأنَّ الكنيسة هي معادية للعلوم تحاول طمس معالمها . وقد فنَّدنا تلك المزاعم بمقالة مطوَّلة نشرناها في المشرق ٩ ((١٩٠٦) : ١٧٨) . وقد وقفنا اليوم على خطبة للكردينال مافّي اوضح بها ما كان للاحبار الرومانيين من علوّ الهمّة في رفع منار العلوم الفلكية فتتبَّع اعمالهم بوجه الاختصار بعد ان درس تاريخ حدائق الواتيكان بعناية البابا القديس لاون الرابع في اواسط القرن التاسع وتحصينها بالاسوار المتينة لردّ غارات الاعداء . فاصبحت تلك الحدائق نادياً اجتمع فيه غير مرة نوابغ النصرانيَّة وعلماؤها لا سيما في عهد لاون العاشر من الاسرة المادشية الشهيرة بترقية العلوم الادبيَّة والطبيعية . ومن جملة ما رواه الكردينال مافّي انَّ الاحبار الاعظمين سبقوا سواهم في تنشيط علماء الفلك فضلاً عن كونهم لم يعارضوهم في ابحاثهم . ومن المعلوم انَّ كوبرنيك كان كاهناً لاتينياً قام في اواخر القرن الخامس عشر واوائل السادس منتقداً لمذهب بطولوماي القائل بثبوت الارض وحركة الشمس والافلاك حولها فلم يجد كوبرنيك في اثباتهِ لمركزيَّة الشمس ودوران الارض حولها من يعارضهُ في قولهِ بل نشَّطهُ البابوات على مواصلة ابحاثهِ الفلكية

ثم لنا مثل آخر على تلك الهمّة البابويَّة في استقبال البابا اقليميس السابع للعالم الالماني ودمنستاد (Widmanstadt) الذي القى بإزاء الحبر الاعظم ومجمع الكرادلة والاساقفة والعلماء خطاباً بليغاً ايَّد فيهِ مذهب كوبرنيك معاصره . فأُعجب الحبر الاعظم وسائر الحضور ببراهينهِ النيّرة وما كاد ينتهي من خطابهِ حتى انتصب الاب الاقدس فاثنى عليه احسن ثناء وجازاهُ باهدائهِ كتاباً يونانياً مخطوطاً فريد وحدهِ وهو كتاب اسكندر الافروديسيّ الذي يزيّن اليوم مكتبة مونيخ ومنحهُ رتبة حاجب البلاط البابوي . وكان خطاب ودمنستاد سنة ١٥٣٣ اعني مئة

سنة قبل دعوى غليلاي. وكفى بذلك برهاناً على انَّ دعوى غليلاي لم تكن دائرة على مسئلة علمية بل على مسئلة لاهوتية كان عنها في غنى وسبَّبت لهُ ذاك الحكم الصارم الذي لم يتجاوز حبساً موقَّتاً عومل فيه بكل رفق

ثم قام في الخلافة الرسولية غريغوريوس الثالث عشر في النصف الثاني من القرن السادس عشر وقد اشتهر باعمالهِ العظيمة وكان مولعاً بالعلوم فسعى بتجهيز مرصد فلكي في جنان الواتيكان وقد سبق بذلك معظم الدول الاوربية ومن المعلوم انَّه هو الذي اصلح الكلندار المنسوب اليه بواسطة عدَّة علماء مبرّزين اخصّهم الاب اليسوعي كلاڤيوس

ومن البابوات الذين عنوا بالرصد الفلكي وزادوا في تحسينهِ اقليميس الحادي عشر فتقدَّم سنة ١٧٠٣ الى احد الرومانيين المدعو كياني بان يصطنع للمرصد المذكور ادوات خاصة لتدوين حركات الزلازل فكان ايضاً سابقاً بذلك بقية الدول الاوربية.

أما في القرن التاسع عشر فانَّ مساعي البابوات غريغوريوس السادس عشر ثمَّ بيوس التاسع ثمَّ لاون الثالث عشر ثمَّ بيوس العاشر في ترقية المرصد الڤاتيكاني اشهر من ان تحتاج الى وصف وقد مرَّ لنا في المشرق ذكر شيء منها لاسيما في عهد لاون الثالث عشر وبيوس العاشر. وقد اشتهر في تدبير هذا المرصد رجال عظام كالاب انجلو سكي الفلكي اليسوعي الذائع الصيت وغيره. والقائم اليوم في اشغالهِ فلكي آخر الماني الجنس وهو الاب هاغن اليسوعي الذي استدعاهُ بيوس العاشر من مرصد اليسوعيين في جرجتن لإدارة هذا المرصد الروماني. وللاب هاغن من الشهرة ما يغنينا عن تعريفهِ ولهُ في الفلكيات والعلوم الجويَّة عدَّة اختراعات ذكرنا منها شيئاً في السنين السالفة في المشرق. والمرصد الحالي قد عُني بتوسيع نطاقهِ وزيادة ابنيتهِ وتجهيزهِ بالكهرباء والادوات الكاملة بيوس العاشر قبل تسع سنوات

انتشار السلّ بنفض اوعية المسلولين — كان بعض الاطباء الالمانيين زعموا بان اوعية المسلولين اذا نشفت ومرَّ عليها بعض الزمن لا تعدي بالسلّ. وقد بيَّن المسيو شوسه (Chaussé) الفرنسوي في جمعية علماء باريس فساد هذا الزعم فاخذ عدَّة من المحارم الملوَّثة ببصاق المسلولين بعد عدَّة ايام بل عدَّة اسابيع فنفضها امام قوم من العلماء في قفص كان جمع فيه نحو عشرين فرداً من الخنازير

الهندية فما لبثت كلّها ان ماتت بالسل. ومن هذا يظهر كم يلزم من الاحتياطات لمنع تفشّي هذا الداء العياء حيثما يوجد احد المتوّهين بعدواه

الطيّارون في الحرب قد لعب الطيارون في الحرب الاخيرة دورًا مهمًا بطياراتهم التي اتخذوها تارةً لكشف حركات العدو وتارةً لمناقضة حركات المناطيد الهوائية وحينًا لرمي القذائف من علٍ على الاعداء ومستودعات ذخائرهم. ومن العجب اننا لم نسمع في هذه المدّة الا نادرًا عن سقوطهم كما كان سابقًا والسبب في ذلك انّ هذه الطيارات اضحت مجهزة بادوات تؤمّنها من السقوط اخترعوها في السنين الاخيرة وكان جُعل لذلك سباق قدرهُ ٤٠٠،٠٠٠ فرنك لمن يكتشف احسن آلة لتأمين الطيّارات من السقوط ففي شهري ايار وحزيران عُرضت على لجنة من الاختصاصيين عدّة آلات اختبروها بالتجربة وجازوا مخترعيها بجوائز مختلفة فكان الجزاء الاكبر ٥٠،٠٠٠ فرنك لآلة لولبية اخترعها الانكليزي سپرّي (Sperry Gyroscope) غايتها ضبط الموازنة بين اطراف الطيارة. واصابت الشركة الفرنسوية پول شميت الجزاء الثاني ٣٠،٠٠٠ فرنك لاختراع اصحابها طيارة تلتوي اجنحتها على حسب حركات الهواء ووفقًا لارادة محرّكها الذي يدير سكّانها بسرعة او بخفة كما يشاء. ونال ستةٌ غيرهما جوائز اخرى وناهيك بهذا السباق دليلًا على التحسينات التي بلغت اليها الطيّارات تأمينًا لحياة العباد في اعالي الجوّ

الكتابات العربية الاثريّة في مصر بلغ ما جمع منها المسيو ڤيات (M. Wiet) في مصر ٣٦٧ كتابة منها في القاهرة ٢٠٨ ثمّ ١١٦ في مصر العليا و٧٣ في مصر السفلى المعروفة بالوجه البحري او الدلتا. ومن هذه الكتابات ٣١٤ مدارها على تاريخ ابنية شُيدت في جهات مصر و٧٢ مدارها على شؤون تاريخية. و١١ تتضمّن قرارات للخلفاء. اما زمن هذه الكتابات فيتراوح بين تاريخ بني اميّة وبني عثمان فمنها ١٣ سابقة لعهد الفاطميين و١٥ للفاطميين و٦ للايوبيين و١٨٠ للامراء المماليك و٧٨٤ كتبت في عهد الدولة العثمانية

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد عن تاريخ الميلاد المسيحي الشائع اليوم بين كل النصارى متى ابتدأ استعمالهُ وهل هو ثابت مقرَّر بين العلماء

تاريخ الميلاد المسيحي اصلهُ وثباتهُ

ج هذا التاريخ وضعهُ في القرن السادس كاهن روماني يدعى ديونيسيوس الصغير المتوفى سنة ٥٤٠ ليبطل بهِ التواريخ الخاصّة التي كان يرجع اليها كل شعب فيبنونها خصوصاً على سلالات ملوكهم. وغايتهُ ان تتفق الامم المختلفة على تاريخ واحد يسهل استعمالهُ فجعل اوَّلهُ سنة ميلاد الرب. فاخذ هذا التاريخ ينتشر شيئاً فشيئاً حتى عمَّ كل الطوائف المسيحية. على أنَّ هذا التاريخ ليس خالياً من النقص فانَّ صاحبهُ قد أخَّر ميلاد السيد المسيح نيفاً واربع سنوات فجعلهُ في السنة ٧٥٤ لرومية وهو في الحقيقة قد جرى سنة ٧٤٩ لأنهُ من المعلوم انَّ هيرودس توفي سنة ٧٥٠ لرومية. امَّا غلط ديونيسيوس فهو ناتجٌ عن كلمة قالها القديس لوقا في انجيلهِ تقريباً فاخذها بمعناها الحصري وهي قولهُ (٣ : ٢٣) : انَّ السيد المسيح لمَّا تعمَّد في السنة الخامسة عشرة لطيباريوس كان عمرهُ «نحو ثلاثين سنةً» فبقول الانجيلي «نحو ثلاثين سنة» اراد انهُ لم يشأ تدقيق حساب عمر المخلّص فاوردهُ تقريباً. ومن ثمَّ يكون وقع عمادهُ في الثالثة والثلثين من عمرهِ وموتهُ في السنة السادسة او السابعة والثلاثين

س وسأل من البرازيل احد القرَّاء قال : ورد في سفر التكوين (١ : ٣) انَّ الله خلق النور في اليوم الثالث وذلك قبل الشمس المخلوقة اليوم الرابع. فاذا هو هذا النور ؟

النور والشمس

ج يظنّ السائل انَّ كل النور هو من الشمس وهذا غلط فان للنور مصادر اخرى يبحث فيها العلماء في عهدنا ويتسعون في بيان خواصّها كالكهرباء والاجسام المشعَّة فان هذه الانوار سبقت تكوين الشمس والكواكب. امَّا طبيعة هذه العناصر فقد اختلفوا فيها فنهم من يجعلها ذرّات هيوليَّة تصدر من عناصرها ومنهم من يظنّ انها تموُّجات تنبعث من الاجسام الى غير ذلك من الآراء التي لا يسعنا ذكرها ل. ش